دراسات مسرحية

على نور

أريستوفانيس

عصره وعمله المسرحي

دار المعارف بمصر

أرسيتوفانيس

عصره وعمله المسرحي

دراسات مسرحية

أرسيتوفانيس

عصره وعمله المسرحي

دراسة

علي نور

دار المعارف بمصر

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر — ١١١٩ كورنيش النيل — القاهرة ج. ع. م.

المؤلف :

علي نور :

مدير القسم اليونانى بإذاعة القاهرة ومنتدب لتدريس اللغةاليونانية الحديثة بآداب عين شمس .

مشرف ثقافى بإذاعة الإسكندرية ومنتدب لتدريس اللغة اليونانية القديمة بآداب الإسكندرية .

خريج كلية الآداب بجامعة الإسكندرية حيث درس اللغة اليونانية القديمة واللاتينية وعدداً من اللغات الشرقية .

دبلوم الدراسات العليا فى التربية والأدب المقارن ؛

أعد للدكتوراه بجامعة أثينا حيث درس اليونانية القديمة والوسيطة

اشتغل مشرفاً بالمدارس اليونانية حيث أتقن اليونانية الحديثة وألقى بها محاضرات وترجم منها وإليها .

كان قبل الآداب طالباً بالفنون الجميلة بالقاهرة حيث درس الإيطالية ؛

أعماله أكثرها مقالات باليونانية فى الصحف اليونانية والمجلات الأدبية بأثينا ومحاضرات بمصر واليونان عن الأدب العربى وتطوره الثورى والأدب المقارن بين العرب واليونان مع ترجمات ومؤلفات عربية منها :

— الفلسفة العملية فى الحياة ١٩٥٠

— تربية الشباب ١٩٤٩

— بين شوقى وبالاماس ١٩٤٨

— سيمبوسيون أفلاطون ١٩٥١

— مسرحيات أريستوفان فى مجلة المسرح

ومن المؤلفات اليونانية :

— من رحلة الربيع لطه حسين

— ابن الرومى ١٩٤٥

— شجرة الدر ١٩٤٦

— أدب النيل ١٩٤٨

— القرن الثالث الهجرى والترجمة

مقدمة

« بعد أكثر من ألفى عام يعود أريستوفان إلى مسرح الإسكندرية حيث لاقى فن أريستوفان أكبر شعبية وأعظم مجد وأضخم دراسة امتدت من أول عصر البطالمة إلى ما بعد دخول العرب مصر. ولولا فضل الإسكندرية لانطفأ نجم أريستوفان كما انطفأت من قبله ومن بعده مئات النجوم فى الأدب والفن . . . . »

على نور

أغسطس ١٩٦٥

الشعر الغنائى عند العرب بلغ الذروة بين مثيله عند الشعوب الأخرى ،
ولو كانت صناعة المسرح معروفة عند العرب قديماً لكان للدراما العربية خير
سند لا تظفر بمثله كثير من الشعوب ؛ فإن اللغة العربية وحدها من بين لغات
الأرض طيعة التطور . . . لا تنقطع ولا تموت . . .

مقدمة المؤلف

بهذا الكتيب أرجو أن أضيف إلى المكتبة العربية بحثا مبسطاً عن أريستوفان أحد أعمدة المسرح الكوميدى إذ لاتخلو بلد بها مسرح من تراجم ودراسات وافية عن أعمدة المسرح القديم وعلى رأسهم أريستوفان . . .

وأريستوفان الذى قضيت عشرة أعوام أدرسه وأترجم مسودات لأعماله الأحد عشر، سوف يستلزم منى خمسة أعوام أخرى على الأقل لإخراجه فى ثوبه الأكاديمى اللائق حتى أكون بذلك قد أسهمت فى سد نقص المكتبة العربية الناهضة .

* * *

فى مؤتمر السلام العالمى (١٩٥٢/٢/١٩) تقرر الاحتفال بيوبيل أريستوفان بمناسبة مرور (٢٤٠٠) عام على مولده . . . وقد ذكر رئيس المؤتمر (ف. ز. كيورى) ضمن ماقال :

« للشعوب تراث مشترك فى العلم والفن والأدب يبقى مختوماً بخاتم العبقرية على مر العصور ، ويظل هذا التراث نبعاً حيًّا مع الزمن تنهل الإنسانية من فيضه ، فتتاح الفرصة للتفاهم والتقارب بين الشعوب من أجل خير الإنسانية . . . »

وقد تم الاحتفال بأريستوفان احتفالا عالميًّا (يوم ١٩٥٤/١٢/٣ م) وحفلت تلك الفترة بدراسات خصبة عن الرجل وأعماله ، غير أن مصر لم تشترك فيه برغم أنه قد عثر بعد تلك الفترة وقبلها على أوراق بردى فى قرية البهنسا مركز بنى مزار بصعيد مصر وفيها قدر لا بأس به من نصوص مفقودة لأسخيل وأريستوفان تنتمى إلى العصر الهلينستى والرومانى بمصر ، والعجيب أنه للآن لم يقم أحد من علمائنا بفحص هذه النصوص التى وجدت فى ديارنا محفوظة آلاف السنين .

ومكان أريستوفان مازال شاغراً بالمكتبة العربية ، برغم أن العرب كانوا على رأس من حفظوا التراث الإنسانى واليونانى بخاصة (راجع مئات المؤلفات الإغريقية التى نقلها العرب فى فهرس ابن النديم وغيره) وأسلموه من بعد ذلك لأوربا مشروحاً

مصنَّفاً غنيًّا بالحواشى والإضافات ، مع ما ابتدعوا من علوم وفنون ، كانت سبباً فى خلق الحضارة المعاصرة .

ولقد بحثت فى المراجع العربية القديمة فلم أعثر لأريستوفان على أثر أو اهتمام فتركت مناقشة ذلك ضمن أبواب البحث الذى أقدمه .

أما سبب اهتمام العرب عامة ، ومصر خاصة ، بأدب اليونان فهو أن الإغريق امتازوا فى العصور القديمة بالانتشارية الواسعة ، وسجلوا شيئاً ليس بالقليل عن البلاد التى زاروها وأقاموا بين أهلها وبقى أكثر ماسجلوا محفوظاً للبشرية يعتمد عليه أكثر الاعتماد .

فاللغة المصرية القديمة ماكانت لتفك طلاسمُها فى عصرنا الحديث لولا ترجمة يونانية وجدت بجانبها (حجر رشيد وشامبوليون) وتاريخ مصر وآسيا وشرق المتوسط ماكان ليبقى حيًّا لوكانت انعدمت مؤلفات هيرودوت وسترابون وديودور وغيرهم ... وسجلات الإغريق تمتاز بأنها تعترف بأستاذية مصر والشرق ولا تنكر أنها أخذت أكثر مما أعطت بل إن بعض رجال الأكاديمية اليونانية فى أثينا هذه الأيام مشغول بدراسة فيلولوجية ترد مسميات إغريقية هامة كالأوليمب والعتيق وبيتاين ولشبوس وداناوس وغير ذلك من مئات الأسماء إلى أصولها العربية واليمنية والفرعونية والبابلية .

أما أريستوفان موضوع الدراسة فالفضل فى حفظ ماتبقى من عمله يرجع إلى الإسكندرية منار البحر المتوسط ، حيث استمرت تدرس فيها نصوص أريستوفان حوالى ألف عام بالغته مع الشروح والتعليقات (٣٣٠ ق . م — ٦٧٠م) والخزائن المدفونة تحت قرى الصعيد والدلتا مازالت مطمورة تحتضن أعز ما ترك أريستوفان ...

وقد أخذت عن الإسكندرية أنطاكية والقسطنطينية وغيرهما ثم أوقفت المسيحية ذلك التراث زمناً . .

يقول أبو إسحاق وقد أرسله الخليفة المأمون ليفاوض ملكاً من ملوك الروم على كتب يونانية . « رأيت ببلد الروم هيكلا قديم البناء لم أر فى حياتى أعظم منه ، فسألت ملك الروم أن يفتحه لى فامتنع لأنه أغلق منذ أن تنصروا ، فيه كتب تحمل

على ألف جمل ، بعضه أكلته الأرضة وبعضه على حاله . . . فما زلت بالملك حتى سمح لى فحملت ماحملت » .

والقصة طويلة إلى جانب قصص أخرى تجدها بفهرس ابن النديم وغيره من مصنفات العرب بعد القرنين الثانى والثالث الهجريين . ولا شك أن العرب قد نقلوا معهم كثيراً من كتب المسرح اليونانى ومن بينها أريستوفان فقد كان أكثر الشراء والنقل جزافاً يحمل على الجمال ..

غير أن أريستوفان وإن لم يحظ بترجمة عربية فى عصر الترجمة فإن كل تراثه قد بقى بمصر والقسطنطينية ووصل إلينا منه احدى عشرة مسرحية للآن ، انكب على دراستها أفاضل العلماء فى مصر وعلى رأسهم المرحوم الدكتور صقر خفاجه وترجم له توفيق الحكيم (براكسا) و د . لويس عوض (الضفادع) وإدوار الخراط (السلام) وعلى نور (بقية أعماله : أخارنيس، الفرسان ، السحب، الزنابير ، الطيور ، ليسستراتى ، ثسموفوريازوسى (العرافات) النائبات ، المال . . إلى جانب هذه الدراسة التمهيدية عن أريستوفان وعصره مع تحقيق لمراجعه وإضافة ثبت تاريخى يبين العلاقة بين مصر واليونان فى تلك الأزمان . .

والعالم منذ عصر النهضة مشغوف بأريستوفان ولذلك نجد أسهمه فى زيادة ، وقد ساعد على ذلك كثرة وسائل العرض فلم تعد مقصورة على المسرح وإنما انتشرت المطابع وظهرت السينما والإذاعة والتليفزيون وزاد الدارسون والمهتمون الذين عادوا إلى التراث القديم يهتدون بفنه .

أما الجمهورية العربية المتحدة فى عصرها الثورى فقد أثبتت شغفها بالعلوم والفنون والآداب ، وسخاء الثورة على الثقافة لم يسبقه فى التاريخ سخاء ، فقد أنشئت المسارح العصرية وتوغلت الفرق المسرحية إلى قرى الدلتا والصعيد ؛ إيماناً من الثورة بأن المسرح مدرسة الشعب ورمز الديموقراطية الاشتراكية .

وأريستوفان من قبل ٢٤٠٠ سنة قد كتب للأحرار ونادى بالعدالة وهاجم الاستغلال ،وسخر من تركيز المال فى أيدى العاطلين ،وأشاد بتمجيد القوى العاملة كما نادى بالسلام .

وثورتنا التى نقلت مفهوم الحرية فى أذهاننا من استقلال الوطن إلى فكرة تحرير الوطن مع تحرير المواطن ، ورسمت فى تخطيطها جناحى الحرية للمواطن ، فحررته من فساد نفسه كما حررته من استغلال غيره ، بالعمل الحر سيداً للأرض والآلة والمال لا عبداً لها ، ووجهته إلى أن يصنع الخير لنفسه ولوطنه وللإنسانية ، بالإنتاج والكفاية والعدل . جعلت الثائر يرفع رأسه ويتطلع ببصره إلى الآفاق ينهل الثقافة الحرة ، التى جعلتها الثورة ملك يمينه كالشمس والهواء فى المدارس والجامعات والساحات والمساجد والكنائس ومراكز الثقافة ودورها وأجهزة الإذاعة والتليفزيون والمسرح بعد أن كانت الثقافة إقطاعاً آخر معزولا عن الشعب . ٥

والمسرح فى ج.ع.م. ظاهرة ثورية ماتزال فى صراع — وفى هذا خير كثير — ويجتاز الآن فى تجاربه وخبراته أروع عصر مر بالمسرح فى مصر ، وإذا قلت المسرح فإنى أقصد الدراما بمفهومها الواسع بين المطبعة والإذاعة والتليفزيون والمسرح وغيرها من وسائل العرض الدرامى ، والعاملون فى ميدان الدراما ببلادنا يتزايدون — ويزدادون يوماً بعد يوم علماً وخبرة ، وهم يؤمنون بدور الدراما فى المجتمع الاشتراكى ويسعون جاهدين إلى أن يصلوا بها إلى المستوى اللائق بنهضة هذا البلد قلب العالم العربى . ٥

والدراما الكوميدية ، أو الكوميديا كعمل درامى فضلا عن أنها تجد فى شعبنا الضاحك بطبعه خير مشجع ومستجيب فإنها من جهة أخرى من ألزم الأعمال الدرامية فى تثقيف هذا الشعب الاشتراكى الذى أمسك بحقه فى الحياة والحرية ، فهى التى تصحح البناء النفسى والخلقى للمجتمع ، وتسمو به عن كل ما يعيب أو يخجل ، وتنبه فيه الذكاء إلى حقيقة دوره فى الحياة . . . إنها النقد الذاتى البناء الذى ننشده فى بناء صرحنا الأخلاقى الذى يجب أن يتكافأ مع بنائنا المادى ٥ ٥

وقد تكون الكوميديا عندنا الآن فى مراحلها الأولى ، ولا عيب فى هذا فلا بد لنا أن نجتاز هذه المرحلة ، فإنها شر لابد منه ، وهى وحدها التى توصلنا إلى الطريق السليم فى الكوميديا الناضجة . .

لذلك درست أريستوفان وما زلت أدرسه كى أقدمه بأمانة إلى المواطنين ، فإن أمثال أريستوفان كالنحو والصرف فى تعلم لغة الدراما ولا يجوز أن تخلو المكتبة العربية إلى الآن من دراسات وافية عنه وعن غيره من عمد المسرح .

أريستوفان الرجل

- مولده
- نشأته
- لغته
- فنه
- أعماله
- الخط الدرامى فى مسرحياته
- كلمة فى ترجمة لغة أريستوفان
- كلمة فى الصدق الفنى

أريستوفانيس

أجمع الدارسون على أنه شاعر عظيم فى فن الملهاة ، لكن قليلا من الناس هم الذين يعرفون أريستوفان ، وأقل منهم من قرأه وسبر أغواره ، وهذا شأن كتاب الساتيرا والساخرين من الشعراء ، لأن شعرهم فى العادة مرتبط بالبيئة والأحداث التى عاشوها ، ومثل هؤلاء سرعان ماتتبخر صورهم وتخبو تلميحاتهم بزوال الأشخاص والأحداث ، على أن أريستوفان كان أكثرهم حظًّا فقد تبقى من مسرحياته التى جاوزت الأربعين إحدى عشرة ملهاة هى :

١ ـــ أخارنيس (اسم معبد وحى)	٢ ـــ الفرســـان
٣ ـــ السحب	٤ ـــ الزنابير
٥ ـــ السلام	٦ ـــ الطيور
٧ ـــ ليسستراتى (مسرحية الجيوش)	٨ ـــ تسموفوريازوسى (حارسات التقاليد أو العرافات) .
٩ ـــ الضفادع	
١١ ـــ الغنى أو المال .	١٠ ـــ النائبات أو المجتمعات

وأريستوفان من أولئك الشعراء الذين غلبت شهرة عملهم الأدبى على تاريخهم ، فلم يعرف للآن حتى موعد مولده ووفاته ، كل مايعرف عنه هو ماكتبه عن نفسه وما ذكره أفلاطون ـــ وقد كان معجباً به ـــ إلى متناثرات أخرى نجدها عند بلوتارك وغيره من النقاد والمؤرخين القدامى . .

المعروف عنه حتى الآن :

إنه أثينى من عشيرة (كودا) من قبيلة (بنديونيد) وهى قبيلة عريقة من القبائل العشر التى كونت أثينا منذ القدم . .

كما كان يطلق عليه الإجينى نسبة إلى جزيرة إجينا المقابلة لأثينا شرقاً والتى قضى بها الشاعر سنين كثيرة من عمره ويقال إن أباه أقطع مزرعة بها . .

ويذكر هليودور الأثيني أن أريستوفان من جزيرة رودوس ، ويرجح أنه مصرى جاء من مدينة نقراش (ناوكراتيس) — وكانت مدينة هيلينية بدلتا النيل قرب إيتاى البارود ، نجد أطلالها اليوم فى كوم جعيف وغيرها من القرى ، سكنها اليونانيون أيام سمح لهم الفراعنة بسكناها ليكونوا قوة بحرية وتجارية تسند جيش مصر فى حروبها ضد آشور والفرس وغيرهم ، وهذه المدينة الإغريقية ظهر تاريخها وحضارتها منذ القرن السابع قبل الميلاد ولعبت دوراً هاماً فى المزج الحضارى ، وكانت هى وكانوب (أبوقير) وغيرهما من المدن أسساً ودعامات لبناء الإسكندرية فى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد . .

ويزعم سويداس أن أريستوفان من طبقة العبيد ، واعتمد فى هذا الزعم على الوثيقة التى أعلنها كليون الحاكم الأثينى « تطعن فى أن أريستوفان أثينى أصيل » لكى يشهر بالشاعر الذى طالما فضحه على المسرح ، وكانت هذه التهمة دامغة لكل أجنبى فلا يستطيع أن يطالب بحقوق المواطن الأثينى . . . ولم تكن هذه هى المرة الوحيدة التى ادعى فيها الحاكم على أريستوفان أمام القضاء حيث طالب بعقابه وطرده من أثينا ، فعندما قدم أريستوفان مسرحية الفرسان بنفسه ، كاشفاً عن اسمه بعد أن كان مستعاراً ، أصبح العداء سافراً بين الحاكم وبين أريستوفان ، فقاضاه وعذبه بالضرب وهدده وأغراه ، ولكن أريستوفان صمد وكتب البقاء للملهاة اليونانية على المسرح كما يذكر ذلك بنفسه فى مسرحية الزنابير (الأبيات من ١٢٨٤ — ١٢٩١) . .

معنى هذا أن الشاعر اضطر لاقتحام الميدان السياسى حتى يخلص نفسه من التشهير به والادعاء عليه . .

والثابت أن أمه أثينية خالصة والشك إنما يدور حول أبيه فيليب ، فالمعروف أن أريستوفان وأمه سنة ٤٣٠ق.م أخذا إقطاعية فى جزيرة إيجينا كأثينيين خالصين ، (ذلك فى الدورة الأولمبية ٨٧) عندما كانت هذه الجزيرة تحت سيطرة أثينا ، ولذلك نرى الشاعر فى مسرحية أخارنيس فى البيت (٥٦٣) يسخر من أسبرطة التى طالبت بنصيب فى هذه الجزيرة المستعمرة كى يجعلوا من أريستوفان ملكية

خالصة لأسبرطة . .

ويبدو أن أريستوفان نفسه كان متشككاً فى نسبه الأثينى ، فى ردّه بالحكمة يذكر شطرة من شعر هومير يقابل معناها فى العربية « أكرم للمرء ألا يعتمد على حسبه ونسبه وإنما على اسمه وشخصه » . . . وحتى لو كان أريستوفان غير أصيل الدم الأثينى ، فإن لغته الأتيكية كانت على أعلى مستوى بين معاصريه من الشعراء . .

وفى سجل البرلمان اليونانى يظهر اسم النائب أريستوفان ويظهر أنه اسم عم له أو لأحد أقاربه . .

لمع اسم أريستوفان من سنة ٤٢٧ إلى سنة ٣٨٥ ق.م ، والمعروف أن مسرحية الفرسان أخرجت سنة ٤٢٤ ق.م ومن قبلها بمسرحية (ديتاليس) سنة ٤٢٧ ق.م قدمها الشاعر تحت اسم مستعار ، ويقول بنفسه فى مسرحية السحب إنه اقتحم ميدان المسرح فى سن مبكرة ، ومن هنا يقترح لمولده سنة ٤٥٥ ق.م على الأكثر . .

أما تاريخ وفاته فغير محدد كذلك ، غير أنه علّم ملهاة (الغنى) المعدلة سنة ٣٨٨ ق.م فى أعياد ديونيس ، وكتب بعدها مسرحيتين : كوكالون ويولوسيكون ، درسهما ابنه أرارون باسمه لا باسم أبيه ، وقد قصد هذا أريستوفان ليجعل من ابنه خلفاً له فى المجتمع الأثينى .

من هنا يقترح زمن وفاته سنة ٣٨٥ ق.م أو سنة ٣٨٤ ق.م ويرجح هذا ما كتبه أفلاطون فى السيمبوسيون ، إذ جعل منه شاعراً كوميديًّا مرموقاً فى الأدب اليونانى لدرجة أنه يجادل سقراط فى المأدبة ، وقد يكون هذا من أفلاطون تكريماً للشاعر وإعلاء لاسمه قرب موته .

أما عن ثقافته فيبدو من شعره أنها واسعة ممتازة ، على أحسن ما كانت الثقافة والتربية فى عصر بريكليس الذهبى .

وأريستوفان يقول إنه قبل أن يكون رباناً لسفينة الكوميديا قد كان بحاراً ماهراً وجدافاً قديراً متمكناً . . ونقده الأدبى فى الموازنة بين إسخيل ويوروبيد فى الضفادع يثبت أنه راسخ فى العلم ذواقة فى الفن .

كذلك يذكر بعض النقاد أن أريستوفان متأثر بأوروبيد ، هذا صحيح لكن لا ينكر أنه استحدث أساليب جديدة على المسرح اليونانى ، وفى مسرحية الطيور نرى غزارة معلوماته الأورفية وفى مسرحية السلام نلحظ عمق معرفته بايسوب ، ذلك مع حفظه الكثير للشعراء السابقين عليه والمعاصرين له .

ويظهر أنه كان معتدل الثراء ، لأنه كان يدفع للممثلين أجوراً وينفق بسخاء على أدواته المسرحية .

أما جرأته كشاعر كوميدى ضد حكام الدولة وكهنتها فتشعرنا بقوته واستغنائه عن الإغراء .

وأما عن حياته فقد عرف عنه أنه يحب الأصول والهدوء والسلام ويحافظ على التقاليد وأنه محتشم متفان فى فنه ، ومسرحياته كلها نضال صريح أو مستور فى سبيل تلك المبادئ .

وفى مسرحية السلام سنة ٤٢١ ق.م يصور نفسه أصلع الرأس ، كذلك عرف عنه أنه أكثر من الشراب طلباً للوحى والإلهام ، وتحدى شعراء عصره فوصمه منافسه (كراتينوس) بأنه مدع سارق لأفكار غيره عن وعى وعن غير وعى وأطلق عليه لقب اليوروبيدى ، ولكن من يقرأ يوروبيد وأريستوفان قراءة فيلولوجية يخرج بأصالة أريستوفان وعلو فنه خاصة فى الكورس :

تزوج مبكراً وأنجب ثلاثة أبناء منهم أراروس الذى تابع عمل أبيه على المسرح ولم يفخر فى حياته بقدر ما فخر بتمثيلية السحاب التى لم تفز إلا بالجائزة الثالثة ، وقد آخذ جمهور أثينا على الجهل بقيمتها وقال متحديا : « إن السحاب أعظم عمل لم تسبق له فى الشعر سابقة ، ولو طاولنى فيها أحد فلتذهب بشعرى الرياح »

(راجع مسرحية الزنابير — باراباسيس)

أعمال أريستوفان

عاش الرجل حياته منقطعاً للمسرح ، فكتب أربعاً وأربعين ملهاة أصاب الشك منها أربعا وهى : (١) الشعر ، (٢) الغريق ، (٣) الجزر ، (٤) نيوباس . . . وبقيت من أعماله إحدى عشرة أصيلة ذكرناها ، أما الأخرى فمفقودة لم يبق منها إلا متناثرات فى بطون المراجع وهى :

١ — **ديتاليس أو مجلس الشراب** : سنة ٤٢٧ ق . م قدمت باسم المغنى الأول فى الكورس واسمه فيلونيد ، وقد حارب فيها بدعة التعليم الجديد فى أثينا (السفسطة) .

٢ — **البابليون** : سنة ٤٢٦ ق.م باسم معلم الكورس كاليستراتوس ، قدمت فى ربيعيات ديونيس ، وهى ضربة جريئة للنظام الانتخابى الذى اكتسح طاقات أثينا ووضع فى الحكم رجالا مهرجين على غير خبرة أو علم من أمثال كليون الذى فتح باباً للأجانب فملأوا أثينا فأصبح البلد كبرج بابل . .

وعندما عرضت هذه المسرحية اتهمه كليون بأنه عدو الشعب وعذبه وحاكمه ونادى بإبطال الكوميديا من المسرح الأثينى .

٣ — **أولكاديس** : درست بعد مسرحية الفرسان فى أعياد لينيا سنة ٤٢٣ ق.م وفيها هجوم واضح ضد أنصار كليون الحاكم محب الحروب .

٤ — **الشيخوخة** : عن شيوخ أثينا المتصابين الذى فجروا ، والباقى منها قطعة تصور العجائز سكارى يستولون على مخبز ويقلبونه رأساً على عقب وزادوا فى العربدة بشكل لايعمله حتى الشباب الجاهل .

٥ — **أمفيراوس** : سنة ٤١٤ ق.م تصور شيخاً عجوزاً يحج مع زوجه إلى معبد أمفيراوس من أجل تجديد شبابه . .

٦ — **تريفاليس** : قدمت على المسرح بين سنة ٤١١ ، سنة ٤٠٨ ق.م وتسخر من ألكفياديس .

٧ – ليمنيا : قدمت على المسرح بين سنة ٤١١ ، سنة ٤٠٨ ق.م وتسخر من مشاهد الأعياد والتقاليد المعيبة والبدع .

٨ – شيوخ : سنة ٤٠٧ ق.م من نوع الضفادع نقد أدبى للشعراء .

٩ – الفينيق : سنة ٤٠٥ ق.م معارضة لمسرحية يوروبيد بهذا الاسم .

١٠ – كوكالوس : سنة ٣٨٨ ق.م عرضها ابنه وموضوعها خداع فتاة ومن هذه المسرحية يختفى الكورس تماماً .

١١ – إيلويسيكون : سنة ٣٨٨ ق.م أخرجها ابنه من غير كورس وفيها نقد للشعراء .

مابقى بعد ذلك من ١٢ إلى ٢٩ لم يبق منها إلا أسماؤها ولا داعى لذكر أسمائها الآن .

وأعظم مافى أعمال الشاعر بروز خفايا عصره ولهذا بقيت أعماله كوثائق تاريخية وعملية ، مما دفع أفلاطون إلى أن يمجده بهذا البيت كإجرامه :

« ربات النعم جدت فى البحث عن معبد لها فلم تجد غير روح أريستوفان هيكلا سرمدياً » . .

وعلى مسارح الإسكندرية فى عهد البطالمة كانت لمسرحيات أريستوفان شعبية ومنزلة عظيمة . . .ومع أن الشاع ميناندرو اشتهر شهرة واسعة إلا أنه لم يستطع انتزاع حب الشعب لأريستوفان بالرغم من تفضيل بلوتارك (الناقد المؤرخ) لميناندرو على أريستوفان ، فلقد زعم بلوتارك أن أريستوفان بارد غليظ القول فاحش اللفظ ؛ لكن الظاهر أن بلوتارك ينقد تحت ضغط سادته من الملوك والأباطرة فلا يستسيغ روح الديموقراطية فى الشعوب المحكومة وأريستوفان يكتب بهذا الروح .

لغة أريستوفان

أتيكية عادية يعرفها الشعب الأثينى وخاصته وتسمع فى السوق والبرلمان وتعتبر أهم مرجع لحقيقة لغة العصر الأثينى فى تلك الفترة . .

وهى عامرة بالنداء والتعجب واللعنات والشتائم والدعوات والأمثال والسير ، مأخوذة بغبارها من لغة الدهماء بارزة فى إطارها الشاعرى على أجمل مايكون الأسلوب وبها لهجات وألفاظ أجنبية وتلميح وتصغير وكناية وفنون من نبضات اللغة الأثينية الصارخة فى الواقعية .

كان أريستوفان على غرار يوروبيد فى استخدام الأسلوب الشعبى القح بصوره الساخنة الخشنة دون أن يترك لها الفن مسرباً للفجور والقذع مثلما فعل شعراء الكوميديا فى العهود السابقة .

كان كالرسام : مواده وخامته من التراب لكنه يرتفع بها فى أبراج الفن إلى عنان السماء . . . وفتح فى الملهاة أبواباً جديدة ورسم لها أبعاداً سياسية واقتصادية واجتماعية بحيث كانت كالنواقيس والمعايير التى نبهت إلى فساد النظم وإهدار الأصول .

وكانت بمثابة الرأى العام الضاحك المستنير الذى يقف الشعب على حقيقة واقعة . . أما الكورس عند أريستوفان فقد بلغ القمة ، بحيث يقال إنه الشعر الأعلى بين المستويات المماثلة على المسرح عامة حتى إلى عصرنا هذا .

وأما حواره ففيه ذكاء وبراعة وحذق لروح النكتة من حيث يقرن فيها بين اللفظ والجرس والكناية والتعبير النابع والمفاجأة ، فكانت مثل انبثاقات الصواريخ النارية .

لكن حظه كشاعر غنى نوعاً من أصحاب الأرض والملكية أتاح لخصومه ثغرة تؤذيه وتشنع على اسمه فى عصره ، ذلك الذى كثرت فيه البدع والغوغائية كنتيجة حتمية للحروب الأهلية التى أهلكت الحرث والنسل وأفسدت القيم ، فصوته من أجل السلام بين القبائل اليونانية ومن أجل الوحدة القومية ضاع هدراً ، ولم يتحقق إلا على يد الإسكندر الأكبر بعد موت أريستوفان بحوالى نصف قرن حين أصبحت اليونان دولة واحدة بسطت ظلها على العالم القديم .

والمعروف أن الكوميديا ظهرت أولا على مسارح صقلية ثم انتقلت إلى ميجارا ، ولم يسمح بها فى أثينا إلا سنة ٤٦٠ ق.م قرب مولد أريستوفان ، وظلت مهددة من جانب الحكام والمتزمتين حتى فرض أريستوفان سلطتها وبقاءها على المسرح . وكان شهيداً، عذب وحوكم من أجلها وفى سبيلها، فاعتبر بحق أبا الكوميديا إلى اليوم،

يذكر قصة ذلك بنفسه على لسان الكورس فى ملهاة الزنابير :

يقول لى قومى لقد عشقت كليون ويوم أن آذاك كدت تغمض العيون
واستعذب الجميع صوت أنتى المرير وأرهفوا الأسماع حول سجنى الكبير
لكن هذا الويل لايهمنى أذاه : إلا إذا منعت من شتيمة الطغاة
فحينما حلت بدارى المصيبة ماكنت أخشى قط صوت نعمة رهيبة
لكننى خلصت نفسى منهمو بحيلة أضحكتهم سخسختهم بهذه الفتيلة
وهكذا أفلت من كماشة لعينة كشعرة تخرجها البنت من العجينة

* * *

رجع المسرح الضحوك يغنى ولوى الظلم هادماً بنيانه
مرحباً ياعرائس الشعر مرحى فرض الفن فوقهم سلطانه

* * *

« بهذه المناسبة أشكر الشعراء الأصدقاء عبد العليم القبانى ومحمد الأنصارى ونبيل عاطف الذين أعطوا هذه الفقرة الأخيرة وزناً ونبضاً شعرياً ، وأعتذر للدكتور السلامونى والزميل أمين سلامة على ضرورة ضياع نسبة من صدق الترجمة فى سبيل الاهتزازة الشعرية فى شعرنا العربى ذى القوافى ، وسأطرق فكرة الصدق الفنى فى آخر هذا المقال » :

من هذا يتبين ، على ضوء ماوصلت إليه الدراسات الحديثة أن لأريستوفان أربعين مسرحية كتبها فى أربعين عاما . . .

منها ١١ بقيت كاملة بفضل الإسكندرية كما ذكر الدكتور السلامونى : و ١١ بقيت منها أبيات وتعليقات أكثرها من المراجع البطليمية و ١٨ لم يبق منها إلا أسماؤها .

الخط الدرامى فى مسرحيات أريستوفان :

بعد استعراض ماتبقى من أثر لعمل أريستوفان يمكن حصر موضوع أريستوفان فى :

١ – **نقد سياسى** جارح بالتعريض والتلميح والكناية ضد سياسة حكام أثينا فى تلك الفترة وعلى رأسهم كليون ، وبيان الاختلاسات والتدليس والتمويه على الشعب من أجل الحرب التى تدر عليهم الأموال، واستغلال الحلفاء والمستعمرات وتدهور المدينة إلى الفقر والخراب وبروز طبقة المنتهزين ، وخلق طبقة من السفراء الذين يسافرون إلى الفرس للمفاوضات ويعودون بلا شىء وهم ينعمون على حساب الشعب دون أن يشتركوا فى صفوف القتال ، وظهور طبقة أخرى من الدبلوماسيين المساكين الذين يبعثون إلى الولايات اليونانية يشتركون عن أثينا فى أعيادها ويقدمون الضحايا ، وهم لايشرفون أثينا ، فالذلة والمسكنة والأسمال المهلهلة التى يرتدونها تمس كرامة أثينا الأم فى الصميم .

٢ – **نقد بطولى** أو حربى ، فأريستوفان برغم أنه من دعاة الوحدة القومية بين ولايات اليونان وبرغم أنه يدعو إلى السلام فإن سلامه المقصود هو السلام الإغريقى بين الإخوة حتى تتم الوحدة ، لا ذلك السلام الذليل أمام البرابرة والميدين والفرس الذين كانوا يحاولون ابتلاع أوربا فى ذلك الحين .

لذلك نرى أريستوفان فى أكثر مسرحياته يذبح كليونيموس على المسرح ، لأن هذا القائد هرب مرة من موقعة ، وألقى فى الساحة درعه . . إن أريستوفان يمجد معركة الماراثون البرية الفاصلة ، ومعركة سلاميس البحرية الفاصلة التى وقفت فيهما أثينا ضد الغزو الميدى فأنقذت بذلك أوربا من الفرس إلى الأبد .

٣ – **النقد الاجتماعى :**

صب كل سخطه على البدع (منذ بدأ كتابة الكوميديا) فى التعليم والأعياد وأعطى قسطاً كبيراً منه للشيوخ المتصابين ، أظهرهم فى أكثر من مسرحية يسلكون مسالك مزرية ، ثم هوى على الشباب الناعم الذى لايعتمد عليه فى خلق البطولة ، لكنه أشاد بالمرأة الأثينية فى أكثر من مسرحية ، ووجدها حلا لمسائل

كثيرة فى تدارك السلام وإعادة بناء المجتمع الأثينى : فليسستراتى ، تضع أوزار الحرب بفكرة إضراب النساء عن العشق ، والنائبات يسرقن البرلمان ليلا ويستولين على خزائن الأكروبول، والعرافات يقاضين يوروبيد على حطه من شأن المرأة ، أما العبيد فقد أولاهم من عطفه الكثير ورفعهم فى أكثر الأحيان عن ساداتهم فهم يعملون بأمانة ويحترمون سادتهم على عكس الأبناء الذين كانوا يضربون آباءهم، ويغتصبون أموالهم ويعيثون فى المدينة فساداً وهم عاطلون بالوراثة .

٤ ـ النقد الدينى :

يعتبر أريستوفان أكثر شعراء عصره جرأة على الآلهة ،لم يتورع أن يصورها صوراً هزلية مهلهلة، فهذا هرميس الذى يمكن شراؤه بقطعة لحم، ويمكن دفعه إلى خيانة رب الأرباب برشوته بكأس من ذهب ، بل إن زيوس نفسه لم يسلم من هزل أريستوفان، فى مواضع كثيرة يبرزه وقد زال وقاره مع الخنفسة، وفى مسرحية الطيور يذل الآلهة ذلا عظيماً فيحرمهم من أقوات الضحايا ، والآلهة فى ذلة تعقد معه المفاوضات من أجل لقمة العيش وإله المال أعمى يقنعه أريستوفان برد نظره إليه ويتحالف معه على أن يكون سيد الآلهة ، ويخون رب الأرباب، وفعلا يحدث هذا فنرى فى مسرحية إله المال جميع الآلهة ، والكهنة يسيرون فى ركاب المال..

أما الكهنة عند أريستوفان فلم يسلموا من لسانه جعلهم لعباً هزيلة وفضحهم بأنهم بطون لا مبادئ ، ومنافع شخصية لا منافع عامة .

٥ ـ النقد الأدبى والفنى :

فى جميع مسرحيات أريستوفان نقد أدبى لشعراء العصر ولمن سبقوهم وذلك عن طريق معارضة أبيات من شعرهم لإظهار سخفها ، أو الإشارة إلى إسفاف بعضهم فى الموضوع ، أو نقد تخنث الناعمين منهم مثل أغاثون معاصره .

لكن هناك أكثر من مسرحية موضوعها الأساسى نقد أدبى صرف يبرز على أشده فى مسرحية الضفادع التى استخدم فيها أكثر أدوات النقد الفنى من نقد اللفظ والمعنى والأسلوب وثقل الفكرة وبعد الهدف ، وإذا تذكرنا عنفوان حركة النقد

الأدبى عند العرب أيام الآمدى فى الموازنة ، والجرجانى فى الوساطة ، والإنصاف والصناعتين والكامل وما إلى ذلك من خزائن النقد العربى لرأينا أن أريستوفان فتح آفاقاً بعيدة فى النقد ، فمعاصروه من رجال السفسطة وسقراط وإيسخينيس وغيرهم ممن اهتموا بنقد الكلام كانوا أفرعاً بالنسبة لنقد أريستوفان الشامل الذى تعدى الكلمة إلى الحركة الفنية، والعبارة إلى الصورة من رقص وموسيقى، وما فكرة الميزان فى الضفادع إلا أبسط أداة مجسدة وسط خضم من فنون النقد يستحق الدرس فعلا . . فوزن البيت والبيت عرفه العرب أيضاً فى الموازنة والوساطة لكن أريستوفان غاص وراء البيت إلى النفوس يريد أن يرى أصداء الكلام فى إرادة الإنسان وحركته وفى أبعاد الجلال والجمال الفنى .

ولأريستوفان منحى آخر فى النقد ، فكلما كان يوروبيد يستحدث فكرة جديدة لإحدى مسرحياته (كما فعل فى بيجاسا الحصان الطائر إلى السماء) كان أريستوفان يغوص إلى فكرة أعمق فيستخدم الخنفساء يطيرها إلى زيوس رب الأرباب دون أن يشطح بخياله بعيداً عن مقدسات الأساطير . . كذلك يمكن القول فى الفينيق وغيرها .

وسخرية أريستوفان لم تكن ساخطة أو حاقدة أو ممرورة، وإنما تنبع من القلب بريئة براءة الأطفال ، أما ألفاظه وتركيب عباراته فلا أمان لهما فى الترجمة ، ولن تستطيع أية ترجمة لأريستوفان أو نثر أو تغيير لألفاظه هو إلا أن تذهب بأساس فنه فى النكتة والكوميديا ، فلا يخلو لفظ أو عبارة من صدى لنكتة أو لمحة ذكية ، لهذا نرى الإنجليز والألمان والفرنسيين بل اليونانيين أنفسهم فى ترجمتهم لأريستوفان لا يستطيعون صيد نكاته مائة فى المائة، ولا ستين فى المائة .

إننا اليوم إن كنا نتمتع بأريستوفان فلا ندعى أننا نتمتع بأريستوفان سنة ٤٢٥ ق.م ففى الترجمة تتبخر روحه الحقيقية ويبقى بدن الدراما للمتعة فى عصرنا ، يعلم هذا من مارس الترجمة وتمرس بها ، ويشهد بذلك توفيق الحكيم ولويس عوض والدكتور السلامونى والأستاذ أمين سلامة وعامة الدارسين لأريستوفان .

فهو كالشاعر الجاد يميتك من الضحك دون أن يبتسم ، انظر مثلاً كيف يحكى سفراء أثينا فى تقريرهم الرسمى عن مفاوضاتهم لملك الفرس فى سوسه :

« فى أواخر العام الرابع بلغنا بلاط الملك ، لكنه كان قد خرج ومن ورائه جيش ، لحاجة قضاها فى ثمانية أشهر بجبال الذهب مقيماً » .

فأنت أمام موقف رسمى لاتتوقع فيه نكتة بعيدة ، وطريقة النظم وبناء العبارة لا يشعر بأية ومضة تبعث على الضحك ، لكنك لو كنت أثينيًّا من أهل ذلك الزمان تفهم أبعاد الكلمة واصطكاكها بالأخرى فى لهجة سريعة ، كنت مع فهم هذا الخبر تلمح صورة أخرى تميت من الضحك فى تصوير ملك الفرس بكل احتشام يجلس على المرحاض المصنوع من الذهب وعنده شبه إسهال استغرق ثمانية أشهر والسفراء ينتظرون .

هذا مثل من أمثلة كثيرة جدًّا ، النكتة فيه ليست للفظ والكلمة ، بقدر ما هى للمحة المبادرة فى استخدام التركيب بدون إبراز كلمة شائنة . . . وهذه هى متعة النكتة الذكية التى لا تحكى . . . فأين الترجمة من هذا . . ؟

وأخيراً كلمة فى الصدق الفنى :

من القسوة أن نقيس عصراً بعصر أو ظروفاً بظروف ، فليس ، فى الكون شيئان يتماثلان ، وإنما النقد على مقتضى الحال ، والتطور ليس مسألة كمية محددة ، لكنه ملايين العناصر العضوية التى تحقق النمو والتطور ، ماعلينا فى المسرح إلا أن نعمل مؤمنين بالعمل على مختلف أنحائه ، والتطور يأتى وحده بالاستمرار والتمرس مع استيعاب للفن الإنسانى ، أينما وأنى كان ، حتى تتكامل فيتامينات النمو الصحيح . والضفادع للويس عوض وكمال عيد لاينكر أنها أول عمل عربى على المسرح لأريستوفان وأنها فى حدود طاقاتها لم تهمل أو تفسد الفن العربى وإنما كانت إضافة لها قدرها وجدارتها ، وهى بشير بفتح جديد ، وطفرة بالمسرح العربى إذا وضعت إلى جانب ماقدم أنيس منصور وغيره من العاملين فى بناء المسرح : عن صدق وأمانة ، ويجب ألا تطغى حركة الترجمة على الإبداع ، فليست الترجمة إلا لإتاحة فرصة المقارنة وإحداث التوازن مع الفن الإنسانى عامة مع عرض لثقافات الشعوب .

وفى دراسة أخرى نتحدث عن عصر أريستوفان فنى ذلك ضرورة لفهم مسرحياته ولما ينتظر من مسرحيات معاصريه من شعراء التراجيديا فى ذلك العصر الذهبى للمسرح الأثينى .

موجـز لعصر أريسـتوفان

- الإغريق
- أثينا
- إسبرطة

عصر أريستوفان

فى هذه الدراسة يحسن :

أولا :الإجمال بكلمة عن الإغريق .

ثانياً : التفصيل فى عصر أريستوفان .

أولا — قبل التاريخ صال وجال فى البحر الأبيض المتوسط موجات بشرية متصلة الحلقات حيناً، منقطعة فى أحيان كثيرة .

وأول ماعرفته الدراسات الأخيرة أقوام يدعون البلاسجيين ، وتتضارب الآراء حول نشأتهم هل هم ساميون من آسيا ؟ هل هم من أفريقيا ؟ يقول بعض رجال الأكاديمية اليونانية إن بعض معالم اليونان مثل : أتيكا والأوليمب ولصبوس والمتلين وغيرها مسميات سامية ، فأتيكا من كلمة العتيق والأوليمب من العلو ولصبوس من الصبح والمتلين من المعتلين .

كما ينادى بعض الدارسين بأن اليمن أيام كانت دولة بحرية كبيرة بسطت سلطانها على البحرين الأبيض والأحمر زمناً طويلا .

ولا نحب أن نسير خلف هذه الدراسات الطويلة التى لم تقطع برأى فى السكان الأصليين لليونان ، ونقفز قفزة أخرى إلى الآخيين واليونانيين والدوريين وغيرهم من الموجات البشرية التى نزحت من آسيا وغيرها واحتلت جبال اليونان وجزرها ووديانها وسهولها وما حدث بعد ذلك من مزج بشرى وحضارى لا يهمنا أيضاً متابعته فى هذه الدراسة القصيرة إلا أن نعجل بالتحليق فوق العصور المضطربة حتى تستقر فى مركزين أو قطبين هامين هما أثينا وأسبرطة سنة ٥٠٠ ق.م وذلك بعد الصراع الجبار فى طروادة بعدة قرون (حروب طروادة بدأت سنة ١١٢٤ ق.م) .

وأثينا تعتبز فى هذه الآونة الأم الكبرى للقبائل اليونانية ، وأسبرطة عاصمة القبائل الدورية ، وأثينا فى الشمال وأسبرطة فى الجنوب ، وأثينا تهيمن على شرق اليونان وجزر البحر وشواطئ آسيا الصغرى وأسبرطة تهيمن على الجانب الجنوبى والغربى من خريطة اليونان ، هذا بشكل تقريبى جداً .

ومن حول هاتين المدينتين فى بلاد اليونان مدن أخرى ذات حضارات عريقة وجزر أخرى فى البحر لاتقل شأناً عن هذه المدن تاريخاً وحضارة ، ومعابد أكبرها معبد دلف الذى لعب دوراً هاماً فى سياسة اليونان وتاريخها . ثم هناك شواطىء آسيا وأفريقيا وأوربا على البحر المتوسط والصراع يشتد على امتلاكها بين الإغريق والفينيق والميديين وغيرهم زمنا طويلا ، وكان لمصر القديمة شأنها الكبير فى عملية المزج الحضارى فآلهتها وخاصة إيزيس وآمون عبدت فى ذلك العالم القديم على طول البحر المتوسط وعرضه ومعابد اليونان آوت كثيراً من كهنة الفراعنة ، وأسرها المالكة فى قبرص وكريت وأثينا وأسبرطة وغيرها اتصلت بقصور فرعون ، ورجالاتها من الحكماء والعلماء والفلاسفة مثل طاليس وفيثاغورس وأفلاطون وديرودوت وغيرهم درسوا ونهلوا العلوم فى رحبات معابد عين شمس ومنف وطيبة وغيرها ، بل إن المحالفات والاستحكامات العسكرية والبحرية تشير إلى أنواع كثيرة من التعاون بين مصر والإغريق ضد غزوات الأشوريين والفينيق والفرس ، أكثر من ذلك أن بعض المراجع اليونانية تشير إلى أن الأب الأصلى لليونان مصرى — ككربس — وكادموس (وأشير إلى المسميات فقط بقصد دفع القارئ إلى الاستزادة من المراجع بغية التحقيق العلمى . . .)

ثم هناك اسم اليونان «هيلاس» وأصلها «سيلاس» ومعناها القديم الصلاة والشمس؛ وهى أول لمحة سماوية دار حولها صراع الأديان حتى نضجت فى مصر على عهد إخناتون قبل أن تلج اليونان أبواب الحضارة العالية بمئات السنين بل بألوف السنين .

ونعود لنختتم مجمل حديثنا فى النقطة الأولى فنركز على الصراع بين المدينتين المتنافستين : أثينا وإسبرطة وقد هيمنتا على البحر المتوسط زمناً إلى أن ظهر بالشرق فى فارس ملك عظيم يدعى (دارا الأول) سنة ٥١٧ ق.م وقد أراد فتح أوربا ولا عائق أمامه إلا اليونان . . استخدم ملوك الفرس كل حيلة من الدبلوماسية والسياسة والعنف والغزو وتأليب الأسر المالكة فى أثينا وأسبرطة ضد بعضها ، وعودوا كل حاكم أو ملك أو مطرود من اليونان أن يلجأ إلى الملك الكبير فى سوسه ، واتخذوا من الإغريق أنفسهم جسوراً تجتازها جيوش الفرس إلى داخل اليونان ، غير أن أثينا ببطولتها التاريخية فى معركة ماراثون قطعت على الفرس أملهم فى فتح أوربا ،

ومن بعدها بقليل حاول أبناء الأكاسرة إعادة الكرة فوقفت أثينا وإسبرطة جنباً إلى جنب ودحروا الفرس للأبد فى معركتى ترموبيل وسالاميس ، وخرج الفرس من البحر ومن ورائهم الإغريق سنة ٤٧٦ ق.م يطهرون المياه الإغريقية والجزر من كل أثر للفرس ويستردون مدنهم فى آسيا الصغرى وغيرها . . . وتعود لليونان قوتها باتحاد دويلاتها فى هذا الظرف العصيب، ويأتى بعد ذلك عصر بركليس الذهبى فى أثينا التى أصبحت بحق عاصمة العالم الهلينى غير المتوجة إلى مابعد سنة ٤٦٠ ق.م. فقد امتلأت الخزائن وازدهرت العمارة وانطلق الفكر والفن إلى أبعاد إنسانية عليا خلدت هذا العصر للآن . . . ولولا هذا القرن الخامس قبل الميلاد لما بقى لهذا البلد ذكرى . . . وأقيمت الأسوار حول المدن ، وأنشئت المعابد والملاعب وعلى رأسها البارثنيون ، والأموال من الجزر والمدن المتحالفة تتدفق على خزائن الأكربول والخيرات تأتى بها السفن والأساطيل الأثينية من كل جانب ، والناس فى أثينا لاهم لهم إلا الترف البدنى والعقلى فلمعت أسماء كثيرة مثل إسخيلوس وسوفوكل وسقراط ويوروبيد ودخلت الكوميديا سنة ٤٦٠ ق.م إلى المسرح الأثينى فزادت الأعياد بهجة وانطلاقاً وكانت العلوم والثقافات كالشمس والهواء تشيع بين الكبير والصغير والأحرار والرقيق . .

على أن التنافس بين أثينا وأسبرطة والضغينة الموروثة بين المدينتين ، أو قل بين اليونيين والدوريين ، بين النظام الديمقراطى والنظام العسكرى كان كالجذوة تحت الرماد ، أخفت حروب الفرس آثارها فترة لكنها الآن بعد جلاء الخطر الفارسى تتأجج يوماً بعد يوم . . . إسبرطة كل همها أن تقوى نظامها العسكرى لتوحد اليونان فى ذات يوم ، وتحسد أثينا على قدرتها فى جذب المدن والحذر إلى حظيرة التحالف الديمقراطى الفاسد (فى رأى الإسبرطيين الأطهار)، ومن فوق المدينتين معبد دلفى يجتهد فى توحيد اليونان على طريقته الدينية ، وقد نجح إلى حد ما فى تنظيم الألعاب الأوليمبية بين دول اليونان وإقامة الشعائر بين أنحائها وتوجيه سياسات الملوك وتكوين مايشبه الجامعة العربية فى أيامنا ، لكن لامعبد دلف بكهنوته ولا إسبرطة بدكتاتوريتها العسكرية استطاعوا أن يجمعوا شمل هذه البلاد فى أمة واحدة، والظاهر فى عصر بركليس الذهبى أن الوحدة كانت تتكون من نفسها حول القطب

الأثينى كما تتكون الأملاح حول بلورة دون ضغط أو تعسف . . وبالرغم من أن بريكليس عقد هدنة بين أثينا وأسبرطة لمدة ثلاثين عاماً، تبدأ من سنة ٤٤٥ ق.م فإن هذه الهدنة لم تنعم بالهدوء أكثر من ثلاثة عشر عاماً، فقد شبت حرب البلوبونيز التى دمرت فيها المدائن اليونانية سنين عديدة بدأت فى خريف سنة ٤٣٢ ق.م وظلت تواكب مسرح أريستوفان حتى نهايته تقريباً .

وهنا يمكننا البدء بالتفصيل مع ربط الشاعر أريستوفان بأحداث العصر .

* * *

وقبل البدء بالتفصيل يمكننا أن نرى معاً شكل المدينتين أثينا وأسبرطة .

أثينا :

فى سنة ٥٠٨ ق.م اختار شعب أثينا بالإجماع (كلسثينى Clesthenis) حاكماً، فأرسى قواعد الديمقراطية وأعاد قانون سولون وقسم قبائل المدينة وحدد عطاء كل قبيلة فى المغانم والخراج ونظم الحقوق والواجبات والإسكان وكافح الطغاة من طبقة الأشراف والمستغلين . كما رد للدين اعتباره ، ووضع أول نظام يقابل الاستفتاء بخلع كل حاكم أثينى من شأنه أن يهدد الديمقراطية الأثينية.والاستفتاء حر ، إذ يلقى المواطن صدفة الخلع فى ساحة المدينة ويشهد القضاة بذلك فينزل الحاكم عن سلطاته طائعاً .

والعجيب أن هذا الحاكم العادل كان أول ضحية لنظامه ، ولذلك قصة مشهورة مؤداها أن عامة المواطنين لم يخلعوا حاكمهم لسبب غير أنهم سئموا عدالته ويريدون أن يروا حاكماً آخر .

المواطن الأثينى :

بعد ولادته يقدمه أبوه إلى المجتمع ويقسم على أنه ابن شرعى من أب وأم أتيكيين ، وتؤخذ الأصوات على ذلك فى حفل رسمى يضمن للابن أن يرث أباه وأن يتمتع بحق المواطن ، وفى السابعة عشرة من عمره يسجل اسمه كمواطن ، غير أنه لايتمتع بالحقوق السياسية إلا بعد الخدمة العسكرية .

وإن أتى المواطن عملاً ضاراً للمدينة يخلع خلعاً اجتماعياً أو سياسياً أو دينياً، أو يقتل أو ينفى على ما ارتكب من جريمة ، وإن أتى أعمالا بطولية كرم تكريماً متفاوتاً حسب عمله، فإما أن يرتب له راتب أو يتوج أويدعى فى الأعياد إلى صفوف الشرف .

وكان بالمدينة يونانيون وأجانب لا يتمتعون بالمواطنة وحقوقها السياسية ، وقد بلغوا فى عهد الرفاهية ١٠ آلاف نسمة يدفع الفرد منهم ضريبة سنوية (١٢ درهماً) وهناك بعد ذلك أحرار يمارسون التجارة والصناعة على أن يكون لكل منهم مولى أثينى يحمى مصالحه فى المحاكم والبرلمان ، وكانوا يشتركون فى الحرب أحياناً فيسمح لهم بممارسة حق المواطن الأثينى ، أما الرقيق فكانوا حوالى ١٠٠ ألف فى تلك الفترة أكثرهم أسرى حرب وبعضهم يباع ويشترى.. والغريب أن رجال الأمن فى أثينا كانوا طبقة من العبيد (سكيث) منهم الرماة وخدم الضباط .

على أن الرقيق فى أثينا كانوا أحسن حظاً من غيرهم فى الولايات الأخرى فهم يعيشون فى البيت مندمجين فى الأسرة كأفرادها ويمارسون العلم والفلسفة ومنهم من بلغ قمة الحكمة والفلسفة كإيسوب ومنهم من كان مواطناً أثينياً حراً وأسر مرة فأصبح عبداً ، كأفلاطون ، ثم افتدى ، وكان للعبد أن يلجأ إلى المعبد ويطلب بيع نفسه لسيد آخر ، وكثيراً ما أعتق الأثينيون جواريهم وعبيدهم من أجل خدمة طيبة أو تعويض . . وهذه أمور لانجدها فى إسبرطة .

البرلمان :

من خمسمائة عضو ينتخبون بالاقتراع كل عام ويقسم كل عضو على احترام قانون سولون والتفانى من أجل مصلحة المدينة .

والنائب يضع على رأسه إكليلاً من الآس والريحان ، وكان البرلمان يشبه إلى حد كبير مجلس الأمة عندنا من ناحية بلورة رغبات الشعب فى القاعدة التى يمثلها مجلس الأمة .

مجلس الشعب :

ويشبه إلى حد ما نظام الاتحاد الاشتراكى فى أنه يحمل رغبات الشعب وينسق أولويتها ويرفع فى شبه توصيات مايستقر عليه الشعب .

ويدعى هذا المجلس أربع مرات فى العام، وكان فى الواقع السلطة الأولى للدولة ، فهو الذى يقرر المواقف الحاسمة للدولة ، وكان اجتماع مجلس الشعب عادة على الربوة (بتيكا) أو فى السوق أو فى المسرح أو فى ميناء بيريه ، وكانت الجلسة قبل الظهر وتبدأ بالصلاة وصب اللعنات على من يخدع الشعب .

الوظائف :

كانت الوظائف شرفية دون مرتب أو أجر ثم اضطرتهم الظروف إلى تعيين الوظائف وتقييمها وتحديد المرتبات حتى أصبح للقاضى راتب يومى : يوازى ثلاثة قروش فضية فى عصرنا (قوتها الشرائية تعادل ٣٠ قرشاً فى عصرنا تقريباً) .

وكانت الوظائف الكبيرة « التى تقابل الوزراء فى أيامنا » عن طريق الانتخاب برفع الأيدى فى مجلس الشعب ، أما الموظفون الآخرون فكانوا بالاقتراع، ويتم اختبارهم أمام المحكمة ، ولم تكن هناك مؤهلات دراسية وإنما تكفى الخبرة ومعرفة الناس . والشرط الأساسى فى الوظيفة هو أصالة المواطن الأثينى .

وكان لأصحاب السلطة العليا (وعددهم تسعة) منزلة كبيرة فى أعين الشعب ولهم مقاعد فى البرلمان والمسرح ويلبسون أكاليل الآس والريحان ، ولأى مواطن أن ينتقدهم فى مجالس الشعب وأن يوجه لهم تهم الإهمال أو الاختلاس أو إفساد المصلحة العامة . . وكانوا بمرتبة الوزراء فى أيامنا . . ينتخبون لمدة عام أو أكثر ورئيسهم يسمى ابنموس ، وثانيهم وزير الدين والمعابد ، والثالث للحرب، والستة الباقون يطلق عليهم : القائمون على العرف والتقاليد . .

وتحت هؤلاء سلطة قضائية تتولى توثيق العقود وما شابهها . . ثم هناك المحاكم العادية وعددها عشر ، والمحكمة تتكون من ٣٠٠ قاض ثم زاد عدد القضاة فى كل

محكمة إلى ٦٠٠ فى عهد أريستوفان ورسوم القضية لاتزيد على عشرة دراهم .

وكان نظام التحكيم متبعاً فى ذلك الحين قبل الدخول فى المحاكم، فهناك شيوخ محكمون يرجع إليهم المتخاصمون فى المسائل الشخصية فإن ارتضوا أحكامهم كان بها ، وإلا رفع الأمر إلى المحكمة . كما كانت هناك محكمة عليا آريوس باجوس تقابل عندنا اليوم (بشكل ما) محكمة النقض والإبرام، وكانت تنظر عادة فى المسائل الكبيرة كالقتل مثلا . . ومحاكم أخرى عديدة منوعة الاختصاص .

أما المحكمة العادية الشمسية فكانت تشبه نظام المحلفين فى أيامنا ، وكل مواطن تزيد سنه على الثلاثين من حقه أن يختار قاضياً ، وبالمحكمة ٥٠٠ قاض و١٠٠ احتياطى وبالمدينة عشر محاكم ، أى إن قضاة أثينا بلغ عددهم ٦ آلاف قاض ، أجر كل منهم فى اليوم ثلاثة قروش فضية، قرش مقدماً قبل الدخول فى ساحة المحكمة وقرشان عند الخروج منها ، ويعطى كل قاض عصا ترمز للسلطة القضائية وعليها رسم يرمز إلى المحكمة ، وكان على كل قاض أن يحلف اليمين الآتية :

« أقسم بأنى سوف أعطى صوتى حسب أصول القانون وقرارات مجلس الشعب والبرلمان ، أما فى الظروف التى لايوضحها قانون فسأعطى صوتى مستوحياً من ضميرى دون خوف ، وسأستمع إلى المدعى والمدعى عليه بالتساوى ثم أصدر قرارى حسب المرافعة . وقسمى هذا بزيوس وأبولون وديمترا مستمداً عون بركاتهم فى صون قسمى أو يخرب بيتى وتدمر حياتى لو حنثت بهذا القسم . . » .

وفى كل قضية يمسك القاضى بلوح صغير من الخشب أو الصدف أو الشقافة عليه اسمه واسم قبيلته ورقم محكمته . . والقضاة يجلسون على دكك من الخشب ، أما المتقاضون فى الساحة وهناك منصة للمدعى ومنصة للمدعى عليه ، والجلسات تعقد حوالى ٣٠٠ يوم فى العام أى إنها لاتعقد فى أيام الأعياد وأيام الاجتماعات الشعبية والأيام الشؤم .

وسميت هذه المحاكم شمسية لأنها كانت علنية فى الهواء الطلق، وعددها عشر محاكم على قدر عدد القبائل الأتيكية العشر ، ويطلق على القاضى فيها لقب (الشمسى) تمييزاً له عن القضاة الآخرين فى أنواع المحاكم الأخرى ولا داعى للتفصيل فيها .

وكان للمدعى أن يرسل للمدعى عليه اثنين من المحضرين بالإعلان ، ويكتب بنفسه عريضة الدعوى فتشهرها المحكمة ، بعد تسلم الرسوم ، على لوحة ، ثم يأتى المدعى عليه فيدفع هو أيضاً رسوم القضية . . . أما القاضى فكان يستمع للطرفين وإلى شهودهما ويتحقق من المستندات والأختام ويودعها جرة أو زلعة . ولم يعرف حينذاك نظام المحاماة وإنما كان هناك رجال الخطابة يصوغون الدعوى والدفاع ويحفظونها للمدعى والمدعى عليه ليذكروها بأنفسهم فى ساحة المحكمة . . . وكان مصرحاً للمتهم أن يحضر معه بالمحكمة شفعاءه من الأهل والأصدقاء .

وفى القضايا الهامة كانت تستخدم الساعة المائية أو الرملية (كلبسودرا) التى تحدد زمن المرافعة أو الدفاع .

والقضاة بعد كل قضية يرمون بالأصوات فى صندوق (بشكل صندوق الأصوات فى الانتخابات) ثم تفرز هذه الأصوات ويعلنها رئيس المحكمة . . . والعادة أن الحكم قاطع والعقاب أحياناً يحدده المدعى ، وللمظلوم أن يقيم القضية من جديد ويفند مزاعم المدعى . .

وكثيراً ماضاعت العدالة فى فوضى هذا النظام الديمقراطى المهلهل واستغلته السلطات استغلالا فاحشاً وراح ضحيته أبرياء مثل سقراط ، كما أنه خلق طبقة من الوشاة المدعين الذين يرفعون القضايا ضد القادرين لا لشىء إلا لاستصفاء أموالهم ، وكثيراً ماعمل هؤلاء لحساب الخطباء والحكام الفاسدين وكسبوا مكاسب طائلة .

العملة :

كانت أثينا أغنى الولايات نسبيًّا وكان للعملة شأنها مما جعل سولون المشرع الكبير يحددها بالشكل الآتى :

- الأوبول ويساوى ٠,٧٢٨ من جرام الفضة أى حوالى قرش صاغ فضة .
- الدرهم (الدرخمة) وتساوى ٤,٣٣٦ جرامات فضة أى ٦ أوبول .
- المنا (١٠٠ درهم) .

— التالنت (٦٠٠٠ درهم) ولم يكن التالنت عملة وإنما وزنة من الذهب . وكان سعر الذهب فى تلك الأيام يعادل وزن الفضة ١٢ مرة تقريباً ، وكان المسكوك من الفضة هو الدراهم . والمسكوك من الذهب هو المنا .

أما العملة النحاسية فقد ضربت سنة ٤٤٠ ق.م أيام بركليز واعتبر النحاس $\frac{١}{٨}$ قيمة الفضة .

هذه العملة الأتيكية سيطرت على الأسواق اليونانية القديمة وبلغت مصر وآسيا حتى إن الإسكندر الأكبر ظل يستخدمها ومن بعده خلفاؤه ، والعملة فى هذه الظاهرة تشبه اللغة الأتيكية التى انتشرت بدورها واكتسحت أمامها كل اللهجات واللغات الأخرى وذلك مابين أواسط آسيا وصقلية .

الحالة الاقتصادية بأثينا فى ذلك العصر :

كانت كثيرة التقلب ، فالاستهلاك يتزايد والميزان التجارى فى عصر بركليز الذهبى أخذ ينزل فى غير صالح أثينا التى تشترى القمح سنويـًا بحوالى ٢٧٠ تالنت على أن الأسطول الأثينى — والغريب أن هذه الظاهرة مازالت للآن — هو الذى كان يغطى الميزانية . ثم هناك الخراج الذى تجبيه أثينا من المدن والموانى ، وهناك العون المالى والعينى والبشرى من المدن المتحالفة ، هذا إلى الفضة التى كانت تأتى من مناجم ديلوس .

أما كنوز المعابد وخاصة المال المحفوظ بالأكروبول فقد بلغ أيام بركليز ٩٧٠٠ تالنت ، غير أن هذه الذخيرة استهلكتها كثرة المبانى ثم قيام حرب البلوبونيز مما دعى الدولة إلى فرض الضرائب على الممتلكات ، ثم كان الاستصفاء الاختيارى الذى قام به الجمهوريون بعد الحروب الطاحنة إنقاذاً للمدينة من الموت المحقق .

وهذه صورة مبسطة للميزانية :

الدخل	المنصرف
٢٪ على الصادر والوارد .	— ½ ٥ تالنت على الأعياد .
١٪ رسم توثيق البيع .	— ٢ أوبول لكل من السفراء وأعضاء الشرف يومياً . (بدل تمثيل أو بدل سفر)
٣ أوبول ضريبة الرأس على العبيد .	— ٣ أوبول لكل قاض .
١٠ دراهم رسم التقاضى .	— نفقات الأمن .
٤٦٠ تالنت من المدن المتحالفة للحماية .	— شراء الخيل للفرسان .
	— بناء الأساطيل والبحارة .
	— صيانة المعابد .
	— مشوهو الحرب وذوو العاهات والعاطلون.

وكان الجندى المحارب يتقاضى فى اليوم نصف درهم (كمرتب القاضى) يزيد عليه ½ درهم أثناء المعركة بدل غذاء . وكان الفارس يأخذ الضعف ، كما كانت نفقات السفينة الواحدة ذات الصفوف الثلاثة فى المجاديف تكلف فى الشهر (١) تالنت .

وكان البرلمان وهو المشرف على الضرائب يعين المحصلين ، وفى أواخر القرن الرابع عينت مصلحة خاصة للضرائب. وكثيراً ما استخدم أسلوب الالتزام فى جمع الضرائب بعد أن كان جمع الضرائب مسألة شرفية يقوم بها الأشراف والأغنياء ويكملون حاجات الدولة من مالهم الخاص تطوعاً . ومن الضرائب نوع شرفى (نظام الوسية) فهناك من القادرين من يتولى الإنفاق على المسرح والكورس والأناشيد ، وهناك من يقوم على التعليم وهناك من ينفق على الاستقبال واستضافة السفراء والأجانب وهناك من يقوم بتسليح الأبطال والممتازين من ماله الخاص. والأغنياء الذين يقومون بهذا ممن يملكون أكثر من ١ (تالنت) أى ما يقابل فى أيامنا الرجل الذى يملك أكثر من ثلاثمائة جنيه مصرى ذهباً .

ومن خطاب بريكليس يمكننا أن نعرف قوة أثينا أواسط القرن الخامس قبل

الميلاد مع استبعاد قوة حليفاتها (خيوس ولسفوس وكيركرا وزاكنثوس وكيفاليني ومسينا وأكارني وميجارا وبيوتيا وفوكيا ولوكريد وإجينا وكيكلادا وجزر شواطئ تراقيا وهيلسونت وبروبونتيد وبوسفور تراقيا وساموس ومدن أخرى على البحر الأسود ومدن على شواطئ آسيا الصغرى) .

كانت أثينا تملك وحدها ٣٠٠ سفينة حربية من ذات الدرجات الثلاث فى المجاديف ببحارتها (٤٥ ألفا)،ومن الفرسان ألفاً ومائتين والمشاة ١٦ ألفاً من الرماة ، ٢٩ألفاً مسلحون بالدروع وكلهم مواطنون أصلاء من أثينا ، وهناك عدد من الأجانب المقيمين يحملون السلاح طمعاً فى الحصول على بعض مزايا المواطن الأثينى ، ثم هناك أسوار المدينة حول أثينا وتمتد إلى بيريه وفاليرون ، وكانت تعتبر أحكم الاستحكامات فى اليونان وقد هدمت أثر حروب البلوبونيز .

أما الحياة المدنية ففى الأكروبول احتياطى٦ آلاف تالنت (وزنة من الذهب) تعادل ٣٦ مليون درهم ، والدرهم يعادل فى قوته الشرائية فى أيامنا نصف جنيه أو أكثر ، (وكان هذا الاحتياطى قبل الإنشاءات التى قام بها بركليز ٩٨٠٠ تالنت) ودخل الخزائن كل عام ١٠٠٠ تالنت من الضرائب ثم هناك فى المعابد كنوز وودائع وغنائم لا تقدر بمال . كل هذا قضت عليه حروب إسبرطة وأثينا .

إسبرطة

يتكون شعبها من الأصول العريقة للقبائل الدورية التى استقرت فى جنوب اليونان بالبلوبونيز ، ومدت ظلها على غرب اليونان وإيطاليا وصقلية وكونت من بعد فى إيطاليا نواة الرومان . . . وكان الدوريون كلما غزوا بلداً أجبروا سكانه الأصليين إما على الهجرة أو العبودية .

وكان نظامهم ملكيًّا يتركز فى أسرتين تتناوبان الحكم، ومن تحت إمرتهم خمسة مشرفون، تزيد قوتهم وتضعف تبعاً لقوة الملك الحاكم، وتفشى بينهم نظام الإقطاع حتى شكل وباء أفقر البلد مرات، مما جعل الشعب المغلوب على أمره يثور ويقضى على بعض الملوك ويوزع الثروات من جديد .

وقد بلغ عدد الإسبرطيين أو اللاكيديمون ، كما كانوا يدعون ، ثمانية آلاف فى القرن الخامس قبل الميلاد ثم تدهور عددهم من كثرة من لاقى حتفه بميادين الحرب المتصلة حتى وصل إلى ألف فى عهد أرسطو ثم أخذوا يتلاشون حتى أخمدت أنفاسهم جميعاً قبل الميلاد . . . بعد أن سجلوا فى التاريخ صفحات من البطولات الحربية أهمها ثرموبيل التى تصدى فيها ثلاثمائة إسبرطى بقيادة ليونيداس (أو ابن الأسد) لجيوش الفرس الجرارة وحصدوا منها الألوف ولم يتقهقروا بل ماتوا جميعاً على خط الدفاع تطبيقاً لمبدئهم الحربى (لاتعد حياً إلا بالنصر أو جثة على الدرع محمولا) . . ولولا خيانة أوقعت بهذه الفرقة الصغيرة فى شباك الفرس لما استطاع الفرس اختراق صفهم ، وكانت هذه الخيانة من شخص إغريقى يدعى إفيالتيس ومعناها الكابوس ، وظل اسمه إلى اليوم بهذا المعنى .

وعلى قدر ماكانت إسبرطة بطلة فى الحرب والفنون العسكرية كانت ضيقة العقل الدبلوماسى والسياسى ، لاتسمح بالتفكير العلمى ، وتغار كل الغيرة من الحضارة الأثينية ، وترى فيها بذور الشر ، وتحرم على أهلها التلوث بهذه الحضارة الديموقراطية وتعمل جاهدة على إطفائها ، فبعد حرب البلوبونيز التى انتصرت فيها إسبرطة على أثينا تفرض على المدينة حكاماً يدعون فى التاريخ (الطغاة الثلاثون) ولكن طبيعة أثينا فى الديموقراطية لم تلبث أن ردت للمدينة روحها الديموقراطى بثورة شعبية أزالت حكم الطغاة ولما يمض عليهم عام واحد .

وكانت إسبرطة لاتؤمن إلا بالسيف تستعبد به ماحولها من البشر وتستذل به طاقاتهم ولا تؤمن بآدمية المهزوم .

ظاهرة التطور الأثينى السريع

المجتمع الأثينى :

- بناء لهدم وهدم لبناء وتجديد
- نشاط فكرى ينتهى لبلبلة وخصوبة
- غنى فاحش ينتهى إلى إفلاس

- الحركة والجمود
- أثينا بنك اليونان
- ثروة تؤدى إلى بطالة
- الرق وتطوره فى أثينا
- الشعب يصبح عالة
- الانحراف السياسى
- ٤٠ سنة حرب أهلية (فى عهد أريستوفان)
- تغير صورة المجتمع الأثينى
- قوى الشعب العاملة
- الانشقاق الطبقى
- أثينا مدرسة اليونان فى الفن ، فى الأدب ، فى العلم ، فى الخطابة والسفسطة

حركة وجمود :

« أهل أثينا يعشقون التجديد فى كل شىء ، ولهم قدرة عجيبة على التكيف مع كل جديد . . هم يقررون إذا اجتمعوا وسرعان ماينفذون .

أما أنتم يا أهل إسبرطة فإنكم لاتفكرون فى جديد، إنكم تكتفون بالحرص على القديم ، لا تعملون وإن عملتم لاتصنعون مايجب أن يصنع .

إن أهل أثينا أهل عزم وأنتم أهل تردد، يعجبهم السفر والمغامرة، ولايعجبكم إلا المقام .

ولو قيل لإنسان إن أهل أثينا لايستريحون ولا يريحون فإن هذا عين الصواب» .

هذه الفقرة ذكرها المؤرخ ثوكوديد (المعاصر لحرب البلونونيز) على لسان وفد كورنثة الذى زار أثينا وإسبرطة .

وهذا هو الفارق الأساسى بين العقليتين فى أثينا وإسبرطة ، بين الطبيعتين، بين السياسة الديموقراطية والسياسة الديكتاتورية فى ذلك العصر . . .

ويهمنا فى هذا الفصل أن نلقى الضوء التحليلى على أثينا (مدينة المسرح بحق) وأن نقترب من نبضات المجتمع بعد أن رسمنا الإطار التاريخى المبسط فى الفصول السابقة .

بنك اليونان :

كانت أثينا فى عصرها الذهبى أيام بريكليس (بنك اليونان ومدرسة اليونان وجنة اليونان) فى خزائنها يصب الذهب والفضة ، من داخلها ومن تلك الروافد من مال الحلفاء الذين انضووا تحت لوائها وارتضوا حمايتها بعد صدها للفرس فى الماراثون وسالاميس أوائل القرن الخامس قبل الميلاد ، وظلت تتدفق إليها طوال هذا القرن إلى أن فقدت هيمنتها وضاع سلطانها وهدمت إسبرطة أسوارها واحتلتها. ولم يكن المال وحده يتدفق إليها دون حساب وإنما بجانب المال كثير من المواد والخامات والسفن والطاقات البشرية (ثوكيديد جزء ٣) .

فكل بلد تملك السفن ماكانت تستخدمها إلا بإذن أثينا ملكة البحار .

وكل بلد تملك الحديد أو النحاس أو الكتان أو الخشب أو الشمع (فى ذلك العصر كانت ألفطة السفن بالشمع) ماكانت تتصرف فى مواردها إلا بإذن أثينا . « والبحر لى وكل ماعليه ملكى ، وكل ماعلى الأرض تأتى به سفنى ولا توجد بلد أخرى تملك مثل ما أملك فى البر والبحر . . لذاذاتى أجلبها من صقلية وإيطاليا وليديا وقبرص ومصر والبحر الأسود ومئات أخرى من المدن والجزر » . . [مؤرخ معاصر (٤٢٥ — ٤٢٤ ق.م) يدعى فى المراجع كسنوفون المجهول ويعتمد عليه الباحثون] .

ونرى كذلك عند بلوتارك فى حديثه عن بريكليز :

« فى أثينا وفرة من الخيرات : حجر ونحاس وعاج وأبونوس وأخشاب وجيش من الصناع المهرة : بناءون ونحاسون وحجارون ونقاشون وصاغة ورسامون . . يعاونهم فى البحر آلاف من التجار والبحارة والربابنة ، وفى البر سائقون وحمارة وبغالة وحبالة ونساج كتان ، وألوف أخرى من العمال والمعدنين فى المناجم . . لكل حرفة جيش من ورائه عدد أكثره من العبيد . . هذا خلاف الزراعة ، ولا يوجد مواطن أثينى لايملك أرضاً أو مزرعة . . »

وأريستوفان فى مسرحياته يؤيد هذا ، فى مسرحية الزنابير يشير إلى أن قضاة أثينا يحكمون فى بلد تمتد من البحر الأسود حتى سردينيا فى غرب المتوسط ، ويشير إلى المدن المتحالفة مع أثينا ، فذكر أنها ألف ونصح بأن تعين الدولة شبابها العاطل حراساً وسفراء بتلك المدن والجزر المتحالفة ، عشرين شاباً فى كل مدينة تستوعب عشرين ألف عامل عاطل يكسبون ويعمرون منازلهم فى أثينا بدلا من بقائهم عالة على الدولة فى أثينا يعبثون .

وفى مسرحية السلام يمجد القوى العاملة فى الإنتاج فيقول :

« أنتم يازراع ، ياتجار ، يانجارون ، ياصناع : أغراب ومواطنون من الجزر أو المدن ، تعالوا هنا من كل الشعوب واحتفلوا معى من أجل ربة السلام » (٢٩٦ — ٢٩٨)

ثروة تؤدى إلى بطالة :

عاش أريستوفان هذا الغنى و الترف فى صباه ولا حظ أثره الضار فى تحطيم النفوس والانحراف بها إلى البغى والفساد والعزوف عن العمل والتعالى على الصنعة والإنتاج ، والميل إلى الإسراف والتبذير والتطلعات فهذا ستر بسياديس فى مسرحية السحاب فلاح بسيط اغتنى غنى فاحشاً فتزوج سيدة من الأشراف عاشت فى بذخ وهى تذله إذلالا حتى استدان ، وذهب إلى جاره سقراط يعلمه شيئاً من سفسطة الكلام حتى يتخلص من دائنيه فى المحكمة .

وبالرغم من أن هذا الغنى وهذا الترف قد جعل الناس يعزفون عن العمل ويفخرون بذلك التعالى (على لسان كسنوفون المجهول كاتب الخواطر فى تلك الفترة) ، نجد هذا المؤلف المجهول يذكر فى آخر مخطوط له : « إن القوى العاملة تكون أغلبية الشعب ، وهى أحسن من الأشراف والأغنياء ، فهى حقيقة الشعب العامل الذى يسير السفن ويهب المدينة قوة ، هم أفضل من الجنود المرتزقة والأشراف والحكام . . . فقراء كثيرون يعملون وأغنياء كثيرون عاطلون وبين الطبقتين احتقار وحقد متبادل »

ونجد سقراط نفسه — وهو يمثل الأريستوقراطية الفكرية فى تلك الفترة — يقول :

إن الديموقراطية الأثينية فى أغلبها بمجلس الشعب تتكون الآن من عمال النسيج والأحذية والنجارة والحدادة والزراعة والتجار والباعة الذين لا يفكرون فى مصلحة أثينا بقدر ما يهتمون بشراء المواد الأولية رخيصة كى يبيعوها غالية . . [نقلا عن كسنوفون الحقيقى فى مذكراته جزء ٣] .

الرق وتطوره فى أثينا :

لقد كان تطور الغنى والثروة فى المجتمع الأثينى على طول هذا القرن تطوراً غريباً . . بدأ باقتناء العبيد الذين رخصوا وتهافتوا على المدينة يبيعون أنفسهم لسادة تميزوا عن غيرهم فى بلد كإسبرطة (الإسبرطيون كلما احتلوا أرضاً خيروا أهلها : إما الهجرة وإما البقاء عبيداً للإسبرطيين) وغير إسبرطة ممن ساموهم سوء العذاب ،

ووجدت أثينا نفسها قد امتلأت بالعبيد حتى زاد عددهم كثيراً عن أهل المدينة وشكلوا توجساً وخطراً .

ويقول (أنجلز) إنه بفضل العبيد وقفت أثينا على ساقيها ، فالرق وحده قام بأهم الأعمال ، فى الزراعة والصناعة ، وخلق ظروف التطور والنمو والحضارة فى العالم الهلينى القديم ، وبدون الرقيق ماكانت لتقوم دولة أثينا ولا تزدهر فنونها وعلومها . .

فقد كان العبيد فى عصر بركليز خدم الإنتاج الحر ، يشتريهم الغنى بالرخص. ويطلق أيديهم فى العمل والإنتاج ، وعندما بدأت حرب البلونونيز اشتدت الحاجة للعبيد ، واستطاع العبيد أن يتسلموا مقاليد الزراعة والصناعة والتجارة والبحر بشكل عطل العمل على الأحرار أنفسهم وكف أيديهم ، فالنجار الحر مثلاً لايمكنه أن ينافس ورشة صاحب العبيد ، فهذا يبيع إنتاجه أرخص ، ويخرب بيت المواطنين الصغار من الصناع والعمال . . وبهذا أصبح فى أثينا جيش كبير من المواطنين العاطلين . أما الأغنياء المواطنون من ملاك العبيد فقد كانت أحوالهم أيضاً تزداد سوءاً من كثرة الغنى والترف والبطالة ، إذ جاء بعدهم جيل من أبنائهم العاطلين بالوراثة عاثوا فى المدينة فساداً وذهبوا بوقارها وعظمتها إلى الحضيض .

ولقد كان نظام الرق مشروعاً فى عين أريستوفان وغيره (لطبيعة العصر) ، ولذلك يجب أن ننظر إليه فى مفهوم ذلك العصر لا بمفهوم عصرنا الذى ألغى فيه الرق وخلصت فيه البشرية نفسها من هذه الوصمة بفضل العلم والتحرر والكفاح الطويل ، واستبدلته بنظام الآلة .

نرى أريستوفان فى مسرحية النائبات ومسرحية المال يشير إلى فئة الرقيق وأنها وحدها التى تقوم بالزراعة والصناعة ، أما الأحرار فلمتعة الحياة يعيشون .

وأبطال أريستوفان من أول مسرحية إلى آخر مسرحية من ملاك الرقيق ، بل إن شرطة المدينة كانت مكونة من عبيد (سكيث) .

وسوفيلوس (أبوسوفوكليس شاعر التراجيديا) كان يملك مصنعاً للأسلحة يعمل به عدد كبير من العبيد . .

وليسياس الخطيب (وهو من الأغراب الذين يملكون حق الإقامة بأثينا) كان يملك مصنع دروع به ١٢٠ عبداً .

ونيكياس كان من أكبر ملاك العبيد في عصر أريستوفان عنده آلاف من العبيد يعملون في الزراعة والمناجم ، وكان يؤجر من عبيده للآخرين مقابل إيجار يومي (راجع كسنوفون وبلوتارك عن نيكياس) . .

وهيبونيوس كان يملك ستمائة عبد يؤجرهم ويعيش من تأجيرهم . .

وفيلمونيديس وغيره وغيره من أغنياء أثينا الذين استساغوا تأجير العبيد كأسهل طريقة لكنز المال ثم تضييعه في الفساد . (راجع مسرحية المال لأريستوفان وكيف أن هذا المال كان ضائعاً في الحالتين سواء . فالمكنوز ضائع لاخير فيه ، والمصروف ضائع في الفجور . .)

أصبح الرق إذن تجارة صريحة رائجة واستمرت حتى عصر أرسطو أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، وقر في خلد العبيد أنهم غير بشر ، وأن القدر خلقهم هكذا يباعون ويورثون (راجع مسرحية المال) .

وكان العبيد أول الأمر يتهافتون على أثينا يبيعون أنفسهم وأبناءهم عندما كان للناس في أثينا أقرب إلى الإنسانية والرحمة ، لكن سرعان مانشأ من بعدهم جيل الأغنياء المتعطلين الذى فقدوا مابقى من رحمة ، حتى لذ لهم سوم العبيد سوء العذاب تسلية وانتقاماً ، ونرى في مسرحية الزنابير لأريستوفان كيف يتمنى العبد أن يكون له ظهر سلحفاة يخفف آلام الضرب فيه وكان بعضهم يعلق من أطرافه أو يحشى أنفه بالخل ، ثم ظهرت السياط في أيدى الشباب العاطل بدعة يحملها أين سار .

وكانت المسرحيات الكوميدية قبل عصر أريستوفان تعتمد على ضرب العبيد ضرباً مبرحاً كمادة للإضحاك ، وقد هاجم ريستوفان هذا الإسفاف والهمجية .

فقد بدأ العبيد يهربون ، ويذكر ثوكيديد أنه بعد سنة ٤١٣ ق.م هرب من أثينا ١٢٠ ألف عبد أكثرهم من الصناع المهرة بعد أن فقدوا الأمل والحقوق التى كانت لهم ، كحق اختيار العبد لسيده إن لم يعجبه يعلن أنه يريد أن يستبدله ، وحق العبد في أن يفتدى نفسه ، وحقه في أن يلجأ إلى المعبد مستغيثاً . .

كانت هذه صورة الرق في عصر أريستوفان زادت أثينا غنى وثروة مما نزف

من دماء الرقيق ولم تكن على الرقيق أنفسهم إلا وبالا .

فى تلك الفترة نلاحظ عطفاً من جانب الفلاسفة والشعراء والنابهين : فهيباس الفيلسوف يعلن أن الناس إخوة من أم واحدة هى الطبيعة (أفلاطون بروتاجوراس) . ويوروبيد يعلن أنه لافارق بين العبد والحر إلا فى ظروف كل منهما . وألكيداماس فى أواخر القرن الخامس قبل الميلاد يقول :

« خلق الله الناس أحراراً ولم تخلق الطبيعة عبداً » (جوبرت فى كتابه تاريخ الفكر السياسى فى اليونان) .

* * *

وقد زعم أكثر الباحثين أن أثينا لم تفسد إلا من جراء نظامها الديمقراطى وهذا أشبه مايكون باتهام المبادئ والقوانين فالقانون لايخطئ وإنما الخطأ عادة من التطبيق أو من أشياء أخرى تفسد خط النظام .

وإنجلز يرى أن فساد أثينا راجع إلى نفس سبب ازدهارها وهو الرق . فقد كانت النتيجة الحتمية لهذا النظام أن نظر الأحرار إلى العمل نظرة احتقار ، ذلك عندما أصبح الإنتاج برمته فى أيدى الرقيق وأصبح لهم من رخص أسعارهم طاقة لا يستطيع الأحرار منافستها ، فاكتسح العبيد الأسواق . . . .

الشعب عالة :

فى أقل من ثلاثين عاماً أصبح الرقيق وحدهم أداة العمل الحقيق بأثينا ولم يبق فى أيدى قلة من الأحرار غير الذهب الجامد ، وفى أيدى الكثرة هواء . . كما يرجع فساد أثينا إلى جدب الأرض وحرق الزرع أيام التخريب الإسبرطى طوال الحرب البلوبونيزية الانتقامية فتعطل الزراع ، ودخلوا يحتمون بأسوار أثينا سنوات عديدة وكانوا كالمهاجرين الذين شكلوا عالة ضخمة على الدولة ، فما كان على الدولة إلا أن تعول هذا العدد الضخم فأنشأت لذلك وظائف مصطنعة لا عمل فيها ولا إنتاج ، بل مجرد وسيلة لقبض أجور هزيلة ، لا تكاد تسد الرمق مثل ما حدث فى زيادة عدد القضاة إلى ٦٠ ألفاً ، وقد كانوا أقل من خمس هذا العدد وأصبحت أتعاب القاضى فى اليوم ثلاثة قروش من الفضة (٣ أوبول) راجع فصل العملة .

وقد كان القضاء أول عهده مركزاً شرفياً دون مقابل . ثم زاد الطين بلة أن أصبح القضاة لعبة فى أيدى الحكام المهرجين أمثال كليون الذى أنشأ بجانب القضاة فئة أخرى من الوشاة يستخبرون الناس ويقدمونهم إلى القضاة فى المحاكم حيث يستصفون أموالهم ولكل من ذلك نصيب . وأصبحت الشهادة فى المحاكم حرفة انقطع لها عدد كبير (راجع مسرحية الزنابير) .

وكان المواطنون العاطلون يقفون فى صفوف طويلة ينتظرون اقتراع أسمائهم ليكونوا قضاة، وكثيراً ما كانوا يستبدلون أسماءهم ليزيفوا على المسئولين فى الاقتراع .

ولم تكتف الدولة بخلق هذه الوظائف وإنما وجدت نفسها مضطرة إلى خلق وظائف أخرى شكلية ، فكانت تختار من العاطلين وفوداً وبعثات إلى المدن والولايات الأخرى للاشتراك فى الأعياد وتقديم القرابين فى نظير بدل سفر قدره (٢ أوبول أى مايوازى قرشين فى اليوم) ، وتضطر كذلك إلى إطعام الناس فى الأعياد والمسارح حتى أصبح شعب أثينا الحقيقى كالسائمة الهائمة العاطلة من كل شىء .

الانحراف السياسى :

هذه الجيوش العاطلة أصبحت من بعد لعبة فى يد حاكم مثل كليون . فإن هؤلاء العاطلين بحكم مواطنتهم أعضاء فى مجلس الشعب الذى يقرر أهم الأمور بالمدينة ، لذلك أفاد بهم الحكام فى اتخاذ القرارات التى أفسدت أثينا وظلت فى جبينها وصمة على مر الأجيال .

ففى مرة جمعهم كليون فى مجلس الشعب حيث أخذوا يتحدثون ويناقشون أسعار السمك ويطالبون بتخفيضها ، بينما وفد إسبرطة الذى أتى من أجل الصلح ينتظر دون جدوى ، وبعد انفضاض المجلس خرج الأعضاء الألوف من مجلس الشعب وهم يقولون : أنتكلم عن الصلح وقد رخص السمك؟ لا صلح . . . سنتابع الحرب . . . « ثوكيديد » و(أريستوفان فى أخارنيس والفرسان) .

وفى سنة ٤٢٧ ق.م جمع كليون هذه الشراذم لتوافقه على قرار خطير مؤداه أن يطالبوا جزيرة ميتلين بأن تدفع أضعاف ماتدفع كحليفة تحت الحماية وإلا ذبح كل بالغ فيها وأخذ الأطفال والنساء عبيداً فى أثينا .

وبعد أخذ ورد تقرر أن يذبح منها ألف فقط وقد كان ، وتمت مذبحة الأبرياء تحت أنظار العيون السائمة الشاردة التى لم تعد تحفظ للوطن حرمة ولا عهداً . . . (ثوكيديد جزء ٣ من ص ٣٦) .

وفى سنة ٤٠٦ ق.م قرر هذا المجلس — مجلس الشعب — إعدام عشرة قواد عادوا لبلادهم منتصرين لاتهامات تافهة وقد تم إعدامهم دون محاكمة . . لالشىء إلا لأن الحاكم يحب أن يخلص له الحكم وحده لاينازعه فيه قائد منتصر ، فأوحى إلى طغمة العاطلين فى مجلس الشعب أن هؤلاء القواد لم يدفنوا جثث الشهداء . . . (وقد عاد القواد فعلا بجثث الشهداء تملأ عدداً كبيراً من سفن الأسطول المحارب فى المعركة غير أن ريحاً عاتية قلبت بعض السفن فى عرض البحر) ، كان هذا فى الوقت الذى تلفظ فيه أثينا أنفاسها تحت ضربات إسبرطة وحلفائها ، فى الوقت الذى هرب فيه عبيدها وانفض فيه حلفاؤها وخرج عليها فيه أبناؤها .

فى تلك الفترة الأخيرة من القرن الخامس قبل الميلاد لم يجد الحكام أمامهم إلا اغتصاب مابقى فى أيدى المواطنين ، ونساء الحكام يخرجن المال بالربا للجموع الجائعة ممن حرموا فى هذه الفترة القلقة .

عاش أريستوفان حرباً أهلية طوال حياته الفنية :

فى تلك السنين السوداء عاش أريستوفان حربين من الحروب الطاحنة . .

الأولى : حرب البلوبونيز (من سنة ٤٣١ إلى ٤٠٤ ق. م) وجذورها تمتد إلى نظام الرق فى الإنتاج والتنافس الاقتصادى واختلاف المذاهب الفكرية والسياسية ثم إلى الغيرة الشديدة من هيمنة أثينا على المحيط الهلينى .

الثانية : حرب كورنثة (من سنة ٣٩٥ إلى ٣٨٧ ق . م) تلك التى أتت على مابقى فى أثينا من ذخيرة مادية ومعنوية ، أوقل الإفلاس الكبير لأثينا .

فكأن أريستوفان قد عاش حرباً استمر سعيرها خمسة وثلاثين عاماً وما حول ذلك من سنى عمره كان مفعماً بدخان الفساد والاضطراب والخراب .

هذا المناخ المكفهر والبيئة المضطربة كانت من أعظم الخامات لفن أريستوفان .

فمجتمع هذا شأنه من عنف التطور وسرعة الازدهار وسرعة الانهيار إلى جانب عبقرية يقظة وذكاء ثاقب ووجدان حي كالذى يملكه أريستوفان، قد ترك فى التاريخ البشرى شرارة من الفن لا يخبو لها ضياء . . ولقد نسج أريستوفان مسرحه من خيوط هذا المجتمع الملهم ، ونادى بصوت النذير ثم عرض مسرحه كأكبر مرآة يرى فيها المجتمع نفسه فى كل فترة من تاريخ الصراع الطويل ، وبهذا خلق أعظم مدارس النقد البناء من فوق خشبة المسرح وبقى عمله مخلداً ترى الإنسانية فيه من بعد أجل العبر مع أحلى متع الفن . رأى أريستوفان الخراب بعينيه مابين سنة ٤٣٠ — ٤١٣ ق . م فارتفع صوته منادياً بالسلام فى أخارنيس سنة ٤٢٥ ق.م والسلام سنة ٤٢١ ق.م ، وليسيستراتى سنة ٤١١ ق.م .

كان على حكم أثينا فى تلك الفترة حكام لايرعون ذمة بقدر مايكنزون من ذهب ، فهذا كليون بائع الجلود وبجانبه صناع الدروع وتجار الحروب يفضحون بريكليز أخريات أيامه ويحاكمونه هو وأصدقاءه : اناكساغوراس العالم الفيلسوف وفيدياس فنان أثينا وغيرهما ممن نفد بجلده وهرب إلى مصر وغيرها ولم يتورعوا عن فضح بركليز (بطل العصر الذهبى) وزوجته فى المحاكم الشعبية حتى زحزحوه عن السلطة وانتخب للحكم (كليون) الذى زاد الحرب سعيراً فى مذابح ميتلين وسفاكتيريا وأتى على مابقى لأثينا من كرامة حسب رأى أريستوفان .

وكليون هذا هو العدو الأول لأريستوفان يصوره أرسطو بأنه أفسد الشعب بالإثارة وأكثر من العالة . . وكان يبدأ خطبه بصب اللعنات خالعاً عنه حزامه وثيابه .

هذا قول أرسطو ، ولكن انظر إلى مسرحية الفرسان وكيف صوره فيها أريستوفان تحت اسم بفلاجانوس (الجعجاع) الكلمة صارت مثلا وسبة بقيت عند أكثر المؤرخين . . ثم هناك (هيبربولوس) صاحب مصنع المشاعل والفوانيس الذى طمع فى السلطة عن طريق الفساد وكيف تقشعر منه ربة السلام فتغضب على شعب أثينا حين اختار هذا الشيخ رئيساً لمجلس الشعب (راجع مسرحية السلام) .

وكليوفون ، وقد كان على مالية أثينا فزاد العاطلين حبًّا فى التسول والبطالة .

فى هؤلاء وفى غيرهم كان أريستوفان يرى أدوات خيانة الشعب وخراب الوطن . رأى فيهم طبقة المنتهزين تجار الحروب ، وشبههم فى مسرحية السلام بأنهم أيدى هون نحاسية تنادى إله الحرب فى كل حين من أجل خراب اليونان .

أما فرسان أثينا من حزب المزارعين فقد كانوا فى نظره حماة أثينا ورعاة شرفها ، لكن الأمر قد زاغ بأبصارهم فلم يعودوا يبصرون الصالح ، إنهم شجعان فى المعارك والبطولات لكنهم لم يعودوا يدركون لأى سبب يحاربون . . لقد تاهت الأهداف فى خضم الغوغائية العاطلة فى أثينا ، إن الفرسان أهل مزارع يحبون السلام ، ولهم أراضيهم وأشجارهم يموتون من دونها دفاعاً ، فإذا أرسلهم الحكام لإقامة مذبحة فى إحدى جزر الحلفاء ، أو للسلب أو لمجرد الغنائم دون سبب من الأسباب كما حدث فى حملة صقلية سنة ٤١٣ ق . م ، فمن السهل إذن أن نتصورهم لعبة فى يد الحاكم . . .

والبحارة بدورهم فى الأساطيل قد فترت فى نفوسهم نخوة الوطنية ، وفقدوا الصلة الروحية بينهم وبين أرض الأجداد ، فراحوا يتقافزون إلى أساطيل الأعداء فى الفرس وغيرها من أجل المال .

قوى الشعب العاملة :

لم يجد أريستوفان أملا للنجاة بالوطن من هذه المحن المتواترة إلا فى قوى الشعب العاملة الفقيرة التى لاقت الهوان من أخطاء الحاكمين .

يقول يوروبيد :

بالمدينة طبقات ثلاث : الأغنياء
لكن بدون نفع . . . . يملؤهم طموح ،
ثم الفقراء ويدهم قصيرة وفى قلوبهم حقد كبير ،
يهددون السادة وينتشون بمعسول الخطب ،
وأثينا قد نجت من الطبقة الثالثة . . . المتوسطة
فهى وحدها تحفظ النظام وتمسك برمق الحياة

(يوروبيد فى هيكتيد ٢٣٨–٢٤٥ ق.م)

وفى (الكترا) يمجد يوروبيد الفلاح الفقير ويجعله أرقى من أبناء الملوك كرماً وأصفى نفساً وفى (الأوروبستية) يقول :

تراه فى مظهره فلا يدعو انتباهك لكنه كريم ،
نادراً ماتراه بالمدينة أو بساحة المدينة ،
إنه يعيش هناك بجانب عمله اليدوى فى القرية ،
لكى يخلص المدينة من الدمار . . . .
(الأوريستية ٩١٧)

من هذا نرى أريستوفان ويوروبيد متفقين على تكريم العاملين ، وهؤلاء العاملون هم الشعب الحقيقى الذى خلق ليعمل ويعانى ، والطبقة الأريستوقراطية قد أصبحت عنه فى عزلة ، ومالت إلى روح إسبرطة الديكتاتورية ، وتفاوضت معها سراً وعلانية وقلدتها فى المظهر والزى وإطلاق اللحى ، وفى جمعياتها وأحزابها قسم يقول :

« أقسم على أن أكون عدواً للشعب أروضه على الذلة بقدر ما أستطيع . . » .
(أرسطو — السياسة)

الانشقاق الطبقى فى أثينا :

لقد بعدت الشقة وعمقت الهوة بين العاملين الفقراء والمعتزلين الأغنياء ، وانعكست هذه الكراهية المتبادلة على الفكر فى ذلك العصر ، فخلقت فى السفسطة للكلمة أكثر من معنى :

وفى هذا يقول يوروبيد فى ميديا :

« من الخلف تسير مياه الأنهار المقدسة وعلى العكس تدور معها العدالة تكتسح كل شىء » .

ولم يكن الانحلال الخلقى إلا حتمية طبيعية وفى نفس الوقت مادة وافرة لكوميديا أريستوفان .

أثينا مدرسة اليونان :

كان بريكليز يسمى أثينا فى عصرها الذهبى مدرسة اليونان (ثوكوديد جزء ٢) وكتب عنها ليسبوس الكوميدى يقول :

« إن لم تكن رأيت أثينا فأنت غافل عن الحياة ، وإن رأيتها دون أن تأخذك نشوة فأنت حمار ، وإن سررت بها ثم نويت أن تغادرها فإنك لاشك حيوان . . »

والحق أن أثينا كما كانت (بنك اليونان) الذى أدى بها إلى الإفلاس ، فإن أثينا النابضة بالحياة والفكر كانت غير أثينا الممسوخة فى كتب التاريخ . لقد توهجت بالعقل فجأة ثم خبت بعد ما اعتورها التخريب. كان معظم علمائها من غير أهلها ولما اجتمعوا بها تألق نجمها ولما انفضوا عنها خبا ضوؤها .

فى الفن :

البارثنون الذى ظلت أثينا تبنيه خمسة عشر عاماً (من ٤٤٧ — ٤٣٢ ق.م) لم يكد يقف على كمالاته أكثر من عام، ثم بدأت تهدده بعدها حروب البلوبونيز والتخريب الإسبرطى، وزالت فى لمحة عين عبقريات اكتينوس وكاليكراتيس من عمالقة المعماريين كما ضاع جهد فيدياس أشهر عباقرة النحت الذى صنع تماثيل نحاسية لأثينا بألقابها المعروفة ، ثم صنع تمثال أثينا العذراء (بارثين) الذى سميت باسمه عمارة البارثنون من الذهب الخالص والعاج سنة ٤٣٢ ق.م ومثله تمثال ليديوس، ولم يسلم فيدياس من التهمة كما لم يسلم منها أى حاكم أو عبقرى أو عالم فى اليونان . وخربت كذلك ميناء بيريه وارخثون الذى أقامه المهندسان فيلوكليس وأرخيلوغوس ومعبد تمثال النصر مقصوص الجناح على مدخل الأكروبول للفنان كاليكراتيس سنة ٤٢٠ ق.م ، ولا يمكن حصر ماخرب فى تلك الفترة القصيرة التى عاشها أريستوفان، غير ما انتاب المعابد من سلب ونهب وهتك للقداسة ، فقد كان أكثر تراثها أجنبياً ولم يبق للإنسانية من هذا التراث إلا مايكاد يشهد بما وصل إليه الإنسان المؤمن العامل من معايير الجمال والاعتدال .

وهذا المبدأ قد نادى به بركليز .

« نحن نعشق الجمال لكن لانميل للترف ، ونعشق الثقافة لكن لاننسى تقويم البدن » . (ثوكيديد جزء ٢) وإذن كانت حضارة أثينا تصنيعاً لتراث الأقدمين .

فى الأدب :

أما الأدب فقد ظفر فى هذه الفترة بما لم تظفر به اليونان طوال عهودها مجتمعة . فسوفوكليس يعطينا صورة الإنسان كما يجب أن يكون ويوروبيد يعطينا صورة الإنسان كما هى .

(أرسطو فى كتاب الشعر)

أما أريستوفان فهو مؤسس الكوميديا الإنسانية . ومثله الأعلى فى التراجيديا أسخيلوس صانع الحرية والبطولات .

فى العلم :

والعلماء لم يكونوا من أهل أثينا وحدهم وإنما خف إليها عدد كبير من كل صوب ونخص بالذكر منهم هيرودوت وثوكوديد وكسنوفون وهبوقراط أبو الطب ، وانا كساغوراس ويوجينس وديموقريطوس من الفلاسفة ، وبروتاجوراس وجورجياس وهبياس وبروديكوس وانتيفون وثراسيماخوس وبولوس وكاليكليس والكدامنديس من السفاسطة ثم سقراط وتلميذه أفلاطون وكريتياس ومئات من خيرة الشباب .

فى الخطابة والسفسطة :

والخطباء كانوا وفرة فى القرن الخامس قبل الميلاد أكثرهم سفاسطة وعلى رأسهم بروتاجوراس (٤٨٣ — ٤١٤ق.م) وأهم تعاليمه : أن الإنسان معيار لكل ماحوله من الأشياء وأن الإنسان يجب عليه أن يكتشف الكلمة التافهة ليخلق منها كلمة قوية . .

ولا أريد هنا أن أشير إلى ما بلغه الفكر البشرى من نضج وصراع فى تلك الفترة وإنما أكتفى بأن أقول كما قال غيرى إنها أنضج عينة يرى الباحث من خلالها تطور الفكر البشرى وصراعه الأزلى . ونؤكد هنا مرة أخرى فضل الإسكندرية ومن بعدها بغداد ثم قرطبة فى حفظ أكثر هذا التراث ، وإعادة تصنيعه من جديد .

أريستوفان والكوميديا

- الكوميديا بين الانطلاق والالتزام
- أريستوفان والكوميديا فى نظر الأقدمين
- أريستوفان هاجم الكوميديا القديمة
- كوميديا أريستوفان تنوير وتعليم
- أبطاله بشر عاملون
- رأى أفلاطون فى الكوميديا
- الضحك عند أفلاطون
- أرسطو والكوميديا
- التهكم والنكتة عند شيشرون
- نسبية النقد
- أريستوفان فى نظر الأجيال
- أريستوفان يبعث فى الجمهورية العربية المتحدة

الكوميديا بين الانطلاق والالتزام

لكى تصبح الساتيرا حقيقة تتحرك نحو أهدافها يجب قبل كل شىء أن تعطى القارئ شعوراً بالمثل الأعلى عند صاحبها . وكاتب الكوميديا مطالب بأن يحدد موضوعه فى وضوح حتى يضمن الوصول إلى غايته .

وينادى سنترين فى كتابه عن الفن يقول : « أطلقوا يدى كاتب الكوميديا وامنحوه حرية التعبير ، وسوف تجدونه إنساناً آخر غير الذى نعرفه فى مراءاته وتحفظاته فى الحياة ، تجدونه عندئذ الإنسان على حقيقته » .

وقد كان أريستوفان على هذه الصفة ، ومثله الأعلى يتحرك فى إطار المزارعين عشاق الحرية والانطلاق والسلام الذين تطوروا من بعد إلى ملاك للرقيق ، ثم اضطروا آخر الأمر أن يعملوا بأيديهم .

مسرح أريستوفان إذن مسرح ريادة سياسية واجتماعية ذات مضمون وهدف ، ولا شك أن عامة الشعب تجد السرور والمرح فى الصور الأليجورية والصخب والبلياتشو وغيرها من وسائل الإضحاك السريع وقد استخدمها أريستوفان بحساب كى يعطى فكرته الأساسية طعماً .

أما خياله الذكى فقد شق فى أغوار النفس خطاً لا يضيع مع الزمن ، وإنما بقى فى جمهوره نهجاً ومنهجاً ومن هنا تأتى عظمة أريستوفان . . كفنان صاحب رسالة . فالسفر إلى السماء فى الأساطير كان على بيجاسا (الحصان الطائر) الذى استخدمه يوروبيد وغيره ، لكن السفر إلى السماء بخنفساء شىء جديد غريب على أذهان أهل أثينا ، وأريستوفان فى هذا لايخرف ولا يشطح وإنما يعتمد كما يعتمد غيره على الأساطير ، وقصة الخنفساء وسفرها إلى زيوس من أصل أسطورى نجده عند ايسوب .

أما صورة الشعب فى مجلس الشعب على هيئة شيخ لايهمه من السياسة إلا وسادة يستريح عليها ، وحذاء طرى يريح القدم ، وملء البطن بأطايب الطعام ، والغرور بأعذب الكلام (مسرحية الفرسان) ، فهى أعظم صورة طابقت حال

الشعب الأثينى فى الفترة التى تكالب فيها المتهزون على الحكم حتى لم يعد الشعب يهتم بالمصير .

وأما براعة اللفظ والعبارة والوزن والمقابلة واصطكاك اللفظ باللفظ فلم نجد للآن من يباريه ، ولن تستطيع ترجمة أن توفيه .

فكيف كانت الكوميديا وكيف كان أريستوفان فى نظر الأقدمين ؟

لقد سبق أن ذكرنا تمجيد أفلاطون لأريستوفان فى السيمبوسيون حيث أجلسه بجانب سقراط ، ثم كيف نسب إليه التأبين المشهور بأن ربات النعم ظلت هائمة لم تجد مأوى ومعبداً إلا فى روح أريستوفان . . لكن بعض الباحثين لا يعترفون بهذا ويخطئونه . وفى سيمبوسيون أفلاطون نجد على لسان أريستوفان عبارة تقول بأن « فى روح ربات الجمال يكمن شىء من الفكاهة الذكية » لكن يبدو أن الكوميديا والشعر بصفة عامة لم تجد فى نفس أفلاطون صدى من التقدير الواضح الكريم .

الكوميديا القديمة :

لقد جنت الكوميديا القديمة بإسفافها على كثير من جهد أريستوفان . . كانت عبارة عن نكات باردة (ميجارية) وألفاظ غليظة وحركات خشبة وصخب هستيرى . . وكان الضحك عادة من ضعاف الناس ، فهذا أصلع يصفع على أم رأسه فيضحك الجمهور ، وهذا عبد يقرع قرعاً وحشياً بالعصا أو بالسوط ، أو يعلق من رجليه أو تملأ خياشيمه بالخل الحقيق ، وهذا الصخب والرقص الجنونى والوقوع من مرتفع والشد من الآذان والأكل بشراهة وضرب الإنسان نفسه بالنعال والشباشب إلى ماهناك من أشكال تضحك . . لكنه الضحك الذى يميت القلب ويطفئ الذهن ويترك الذوق سميكاً غليظاً . . وبعد ما أفلس المضحكون كانوا يشترون الضحك من الجمهور شراء فيوزعون التين والترمس والحمص ، وأحياناً الفلوس ليضحك الناس ضحك الخواطر . . فلما جاء أريستوفان ارتفع بالكوميديا فجأة إلى شاهق وجعل لها هيكلا من واقع الحياة ومن أجل الحياة

وكرامة الإنسان وحارب على طول الطريق كل إسفاف . . ونادى بأنه شاعر يعلم جمهوره بالتسلية والإضحاك . . يضحكهم من أنفسهم ليربأوا بأنفسهم عن المخجلات فلم يضحك الناس لمجرد الإضحاك وإنما لينتزع من الناس منطق الوجود .

واستخدم الأساطير لا للتخلص كما استخدمها غيره من عامة الشعراء وإنما لحكمة فى عمله الفنى .

أبطاله بشر عاملون :

ولم يكن أبطاله من الآلهة والقوى الغامضة بقدر ماكانوا من بسطاء الناس العاملين . لقد آمن أريستوفان بأن الضحك أقوى سلاح يمنع الاستمرار فى الرذائل وأقوى دواء للقلوب المريضة ، الضحك قوة الجماعة وسلاحها ضد نزوات الفرد .

وأفلاطون (٤٢٧ – ٣٤٧ ق.م) وأرسطو (٣٨٤ – ٣٢٢ ق.م) يعتبران من بين الذين شاهدوا أريستوفان وعمله المسرحى مراراً (مات أريستوفان سنة ٣٨٥ ق.م لكن قمة مجده الفنى كانت بعد موته خاصة أيام أرسطو) .

وقد ترك لنا هذان العملاقان آراء كثيرة فى الكوميديا .

إن ماوصلنا من أفلاطون وأرسطو لا يلقى الضوء التام على النظرية القديمة للكوميديا ، على أنه يمكن الإفادة – خاصة فيما يتعلق بالجزء الضائع من كتاب الشعر لأرسطو عن الكوميديا – مما كتبه الرومان (شيشرون وكوينسليانوس عن الخطابة) فبمقارنة أبحاثهما عن أفلاطون وأرسطو يمكن الخروج بنتيجة ترجح علمهما الكافى مع إضافة تأثير ثيوفراست . وتجدر الإشارة هنا إلى مجموعة كايمبيل عن دراسات القدامى فى الجزء الأول من Comicorum Graecorum Fargmenta وفيها أبحاث لبلاتونيوس البيزنطى عن الكوميديا ، وأبحاث ليوانو تستسو من القرن الثانى عشر وأهمها أبحاث كويسلينيوس – وكذا الطبعة الأولى من كرامر سنة ١٨٣٩ م وفيها عرض لمخطوطات من القرن العاشر – ونشير أيضاً إلى :

— Bernays, Erganzung Zu Aristotelis Pœtik, Berlin 1880.

— L. Cooper. Aristotelian theory of Comedy with an adaptation of the Pœtics and translation of the « Tractatus Coïslinianus » Oxford 1924.

رأى أفلاطون :

رأى أفلاطون فى الدراما أنها عمل فنى يعتمد على الإحساس لا على المنطق ، أى أنه يعتمد على الجانب الضعيف من النفس البشرية فيتأثر به تأثراً يلغى العقل ومن هذا كان خطر الكوميديا على تربية الحكام والزعماء والقادة.

فالدراما فى رأى أفلاطون محاكاة لا جوهر لها ، وهذه المحاكاة الفارغة تولد بالذهن أفكاراً وصوراً كاذبة ليس لها واقع حيوى ، وهى من هنا خطيرة مدمرة لدولة مثالية كالتى ينشدها أفلاطون .

نسى أفلاطون أن الكوميديا منذ كتب أريستوفان محاكاة لحياة لها جوهر ، ومن هنا كان تأثيرها التعليمى الواضح فى الجماهير الديموقراطية الحرة .

والضحك عند أفلاطون فى الكوميديا ظاهرة تضر المواطن النموذجى (بوليتيا جزء ٣) وفى مدينته الفاضلة لا يصح اللجوء إلى الضحك فإنه يحطم الجدية ويفسد اللسان والحركة ببذىء اللفظ والغلظة .

ويرد كونيليانوس على أفلاطون بأن الضحك إنما يهذب الإنسان ويزيده بعداً عما يخجل الإنسان الكامل . ويضيف جرتسن : « إذا ماتركنا الصغار يتهكمون من الكبار دون أن يستطيع الكبار أن يضحكوا ، فقل على السلطة السلام » .

لكننا نلاحظ أفلاطون أخريات أيامه فى النواميس (Nόμοι) يعود فيغير رأيه فى الكوميديا والضحك فيرى أن الإنسان الكامل فى حاجة إلى الفكاهة والضحك بشرط أن يكون الضحك للتسلية وحدها مبرءاً من كل سخط أو حقد أو غضب أو تشف ، وأوجب أفلاطون على كتاب الدراما الكوميدية فى الدولة المثالية ألا يتعرضوا للحكام لا باللفظ ولا بالإشارة .

بهذا يكون أفلاطون قد مسخ الكوميديا وانتزع منها روحها ولم يطلب منها غير جانب التسلية العابرة ، وعذره فى هذا مثاليته وفكرة دولته المثالية التى ملكت عليه لبه والتى لم يمكن ولن يمكن تحقيقها لسبب بسيط هو زوال عهد العبيد الذى كان الأساس فى مدينته الفاضلة .

رأى أرسطو فى الكوميديا :

أما أرسطو : فقد رأى فى الشعر فلسفة أوفر وعناصر أعمق من التاريخ وفى الجزء المفقود من كتاب الشعر عن الكوميديا لا بد أنه كان معنيًّا بكوميديا الوسط التى عنيت بالأشخاص والأخلاق . فإن الكوميديا القديمة كانت منصبة على المساكين من الناس ثم تطورت فأصبح الإنسان يضحك من أخيه . لكن أريستوفان لم يعتمد على الهزل الرخيص بل ارتفع بالإضحاك إلى المعانى الكبيرة ، فقد كانت سخريته من سلوك حكام وقضاة فسدت فيهم الذمم وجلبوا للمدينة الوبال .

أريستوفان تعامل مع العمالقة لا مع الفارغين (قوله فى أكثر مسرحياته) وتعامل معهم بعملة فنية ثمينة لا خسيسة فضمن لفنه الخلود .

وأرسطو حين نظر إلى الكوميديا اختار فيها الوسط (خير الأمور الوسط) على المعنى الفسلفى الذى ابتدعه أرسطو وسار عليه فى التطبيق . . فإن الفن كلما ابتعد عن الوسط بالإفراط أو التفريط كلما اقترب من الرذيلة وهى فى الفن عكس الجمال (أى القبح والدمامة) .

ونجد شيشرون أيضاً يشترط خلاص الكوميديا من الغيظ والحقد ، واشترط كونتليانوس ألا تكون على حساب الدولة والدين .

خلاصة القول أن أرسطو يدعو إلى الكوميديا المسلوقة لتكون صحية مسلية مريحة والضحك من منظر ، غير الضحك من إنسان ، فالضحك من منظر لايترك فى النفس ألما ، وهذا على مايبدو شرط الكاثارسيس Κάθαρσις (الانتفاضة أو التطهير) الكوميدى فى رأى أرسطو .

لقد رأى أرسطو فى الكوميديا أنها تقصد إلى البهجة والراحة والتنفيس ، فإن كان هذا ، فإن كوميديا أرسطوفان التى تخاطب أحراراً ، فى ديمقراطية حرة ، لها منطق التساوى فى الجماعة ، لا شك وأنها تحمل صفة من الاعتدال ، بخلاف الكوميديا التى تسعى لمجرد إضحاك المظلومين من الظالمين أيام الرق ، يوم اضطربت قيم الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية .

والكوميديا القديمة قبل أرستوفان كان الإضحاك ينتزع انتزاعاً كما شرحنا بالألفاظ النابية والحركات الصاخبة التى لم تكن تتناسب إلا مع أصحاب الذوق السميك . كان شعراء الكوميديا يوزعون التين والترمس كما بينا ليضحك المتفرجون (أريستوفان فى الزنابير) لكن فى عهد أريستوفان كانت النكتة البارعة والفكاهة الذكية والطرافة والتهكم المثقف .

ويوضح شيشرون الفرق بين التهكم والنكتة فالتهكم إضحاك لحساب شخص أما النكتة فإضحاك لحساب المجتمع (Severe Ludere) ، إنها شكل من الفكاهة والهزل حين نقول شيئاً يختلف عما نحس به ، بمعنى أن نهزل فى جد . . وعلى رأى شيشرون كان سقراط أسبق الأقدمين فى فن التهكم .

وأرسطو كأفلاطون حين هاجم الوقاحة والدمامة فى الكوميديا كان مدفوعاً بالخوف على جمهوريته من شىء تصوره يهدم سلطانها ويزلزل كرامتها ، خاصة وأن مدينة أرسطو كانت كمثل مدينة أفلاطون تعتمد فى أساسها الإنتاجى على الرقيق وإذا ما ضحك الرقيق من سادتهم فقل على الدنيا السلام .

يقول أرسطو فى (نيكوماخوس) : « إن الكاتب الكوميدى الذى يسف إسفافاً من أجل انتزاع الضحك لا يحترم فى كلامه عدواً ولا صديقاً ولا إلهاً فى أكثر الأحيان » .

على أن أريستوفان عاش طوال حياته يحارب الإسفاف فى الكوميديا فهو من هذه الناحية قريب من قلب أرسطو ، لأننا لم نشاهد أرسطو يهاجم أريستوفان شخصياً .

وإذا ما سرنا بعد أفلاطون وأرسطو فى سلسلة النظرية الكوميدية نجد شيشرون وهوراشيوس فى العصر الرومانى يسيران سيرة أرسطو وأفلاطون ، ثم نجد ماركيالوس وبرسيس ويوفينالى ولوكيانوس يميلون إلى أريستوفان ، بينما كونيتليانوس ومن حوله عدد من اليونانيين المتأخرين يعودون لرأى أرسطو ، ولا داعى هنا لذكر التفصيلات الكثيرة وإنما نكتفى بالإشارة إلى أن آراء الناقدين تختلف من عصر إلى عصر ومن بيئة لأخرى حسب حالة الحكم القائم ، فكلما قرب من الديموقراطية والحرية مال النقاد إلى أريستوفان واهتموا به ، وإذا كان العكس مالوا عنه ونفروا من فنه .

أريستوفان فى نظر الأجيال :

على هذه القاعدة نجد لأريستوفان قمماً من الأمجاد على مر العصور ، فعلى المسرح السكندرى فى عصر البطالمة لاقى أريستوفان شعبية لم يظفر بمثلها شاعر الملك (مينا ندرو) وفى روما وفى القسطنطينية بالذات نجد رواجاً لمسرح أريستوفان فى المال بخاصة ، ثم يسكت المسرح قليلا أيام النضال المسيحى وما أعقبه من الفتوح الإسلامية والحروب الصليبية ويعود بعث أريستوفان مع النهضة الأوربية فتدب الحركة فى أوصال المسرح وينشط البحث ، لكن الخزائن تكون قد فقدت الكثير من أعمال أريستوفان .

فى القرن الخامس عشر نرى فرانسوا رابيليه (١٤٩٤ – ١٥٥٣ م) أثناء الصراع ضد الإقطاع ، يهتم اهتماماً كبيراً بأريستوفان ويقتبس كثيراً من لمحاته الذكية ، كذلك حدث فى إنجلترا فقد تأثر الكتاب وخاصة من نادى منهم بشىء من الديموقراطية والتعاون الاجتماعى ، أمثال توماس مور (١٤٧٨ – ١٥٣٥ م) . بل إن شكسبير نفسه لم يسلم من التأثر بأريستوفان فى (حلم ليلة صيف) وهى إلى حد ما تذكرنا بطيور أريستوفان . وبن جونسون كان متأثراً بمسرحية المال.

وفى القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر وما بعدهما نجد مساحة المسرح الأريستوفانى تتسع ويزداد عدد المعجبين بأريستوفان وعدد الناقمين عليه . فنرى بوالو يتهم أريستوفان بالإسفاف والخشونة والغلظة بينما نجد راسين من أشد المعجبين به ويؤلف على غراره مسرحية (Les Plaideurs) على أساس (الزنابير) وتمثل على المسرح سنة ١٦٦٨ م .

وفى إنجلترا نرى سويفت يعيد على المسرح أريستوفان ويتخذ من وسائله سلاحاً لضرب الإقطاع والفساد والعفن الاجتماعى ، كذلك فعل هنرى فيلدنج (١٧٠٧ – ١٧٥٤ م) الذى ترجم المال . كما كتب ليسنج معترفاً بأن مسرح أريستوفان ليس بأقل من حوار سقراط فى تربية المجتمع » .

ثم نرى جيته فى يوم ١٨ أغسطس سنة ١٧٨٠ م يقدم على مسرح بيمار (الطيور) على أسلوب أريستوفان ويعلن عن إعجابه بأريستوفان طول حياته .

أما الشاعر هاينى فقد عشق أريستوفان عشقاً بعيد المدى وسمى نفسه (أريستوفان الجرمانى) واعترف بأريستوفان أبا روحيًّا له (راجع ديوان هاينى) .

ونسير بسرعة حتى نصل بريخت فنلاحظ أسلحته فى الخشونة والسخرية الماحقة لمحاربة الاستعمار والاستغلال البشرى ، وهى أسلحة عليها خاتم أريستوفان ولا ينكر بريخت ذلك .

على أن أريستوفان لم يزدهر فى الأدب وحده وإنما نرى المسرح كلما ازداد اتساعاً وإمكاناً كلما علا فيه صوت أريستوفان بمسرحياته أو بالمقتبس من أفكارها وأساليبها . وإن ما يشاهد من نشاط حركة النقد والصراع بعد كل مسرحية من مسرحياته لدليل على اهتمام الناس بالشاعر أبى الكوميديا وأنه عائش فى ضمائر الأجيال . فمسرحية السحاب التى عرضت سنة ١٩٠٠ م على مسرح أثينا (بعد موت أريستوفان بأكثر من ٢٣٠٠ عام) قوبلت بعاصفة من الغضب والسخط من أجل الإجادة ، ومطالبة للمسئولين بأن يزيدوا ثقافتهم بأريستوفان، وهذا بلا شك إعجاب مابعده إعجاب . مثل هذا حدث فى مسرح الأوديون بباريس حيث عرضت ليسيستراتى والمال .

أما الآن وقد صنعت المدنية بالمسرح عجباً عجاباً ، ووهبته من إمكانات الفن والأضواء والحركة شيئاً كثيراً فإن مسرحيات أريستوفان أو ما ينسج على منوالها يلاقى نجاحاً كبيراً ويستمر شهوراً والمقاعد مليئة .

والغريب فى عالمنا الحالى أن تجد أريستوفان يشبع أهل اليمين وأهل اليسار وأهل الشرق وأهل الغرب، فالطيور والضفادع والعرافات من أعمال أريستوفان تجدها رائجة فى سوق المسرح الغربى ، والمال والسلام وليسيستراتى يعشقها المسرح الشرقى

أريستوفان يبعث فى الجمهورية العربية المتحدة :

أما فى مصر الثورة فنجد توفيق الحكيم (إن لم تخنى الذاكرة) أول من ترجم لأريستوفان (مسرحية براكسا) ومن مقدمتها نلاحظ الأستاذ توفيق يطيل كلمة الإعجاب والتقدير لأريستوفان :

ثم نجد دراسات منوعة يقوم بها أساتذة أفاضل فى جامعاتنا العربية وعلى رأسهم المرحوم د. صقر خفاجة الذى قدم دراسات من الكوميديا وترجم لأريستوفان ثم نجد الدكتور لويس عوض أول من يقتحم المسرح العربى بمسرحية الضفادع وهى تعتبر من أصعب أعمال أريستوفان وقد أخرجها الأستاذ كمال عيد وهو من أبنائنا الذين نالوا حظًّا طيباً فى الثقافة المسرحية بالجمهورية العربية المتحدة والخارج ، ثم نرى الأستاذ إدوارد الخراط يترجم السلام ويصححها على نور لمسرح الإسكندرية .

ومن حول ذلك تهب عاصفة النقد بعضها يهيب بالإبقاء والدراسة كنداء الأستاذ عبد الفتاح البارودى وبعضها يفحص ويحلل ويضيف إلى عملية النقد المسرحى جانباً من النقد الفيلولوجى كما فعل الأساتذة : الدكتور محمد محمود السلامونى والدكتور بدوى والأستاذ أمين سلامة .

هى إذن حركة تدل على أن العقل العربى يواكب العالم فيما يختص بالمسرح . وهذا هو الذى دفع مثلى ليدلى بدلوه المتواضع فى دراسة أريستوفان وترجمة بقية أعماله .

تراث أريستوفان وكيف وصل إلينا

- الإسكندرية مأوى لأريستوفان
- الإسكندرية أم الثقافة الهلينستية
- هوميروس وأريستوفان حظيا من الإسكندرية بأعظم الدراسات
- نصوص من أريستوفان تكتشف بالصعيد منذ سنوات
- مصر تدرس أريستوفان ألف عام
- دور العرب فى حفظ التراث اليونانى ولماذا لم يترجموا الدراما ؟
- هل ترجم العرب لأريستوفان ؟
- أهم مراجع أريستوفان

الإسكندرية ترث أثينا

بعد أن زالت هيمنة أثينا (أواخر القرن الخامس قبل الميلاد) على البلاد والهلينة وبعد أن زالت من بعدها هيمنة أسبرطة وطيبة ، خلا السبيل لمقدونيا التى فرضت سلطانها على العالم القديم أيام الإسكندر الأكبر . . وانتقل التراث الأثينى إلى الإسكندرية وأنطاكية وبعض مدن شمال آسيا الصغرى . . ولاقت أعمال أريستوفان خاصة والكوميديا عامة بالإسكندرية سوقاً للأدب والبحث رائجة . واستمر أريستوفان موضوع البحث فى الإسكندرية وما حولها من مدن الدلتا والصعيد أكثر من ألف عام .

فإن لوكوفيوس (٢٨٥ ق.م) وهو من أقدم فلاسفة الإسكندرية تلقى أمراً من بطليموس الثانى (فيلادلفوس) بضرورة تحليل كل ما كتب عن الكوميديا ، فكتب مؤلفه الكبير (١١ جزءاً) عن الكوميديا وملأه بالشروح المستفيضة للألفاظ والعبارات . . ولو أن هذه المحاولة لم تسلم من أخطاء ، فمثلا نجد أراتوستتيس من بعد ، يصحح تفسير كلمة كوركور (فى مسرحية الزنابير لأريستوفان) بأنها نوع من الخضر وليست نوعاً من السمك كما فسرها لوكوفيوس .

ثم تذكر المراجع اسم كاليماخوس (٣١٠ — ٢٤٠ ق.م) وهو فيلسوف سكندرى كتب حوالى ١٢٠ كتاباً نال منها بحث أريستوفان قسطاً كبيراً .

وغالينوس الطبيب السكندرى (١٢٩ — ١٩٩ ق.م) الذى مجده المتنبى الشاعر العربى بعد ذلك بحوالى ألف عام . . كتب عن الكوميديا وعن أريستوفان وذكر رأيه فى الأخلاق (بأن الكوميديا القديمة من أنفع المعارف للدارسين) .

فما السبب فى أن الإسكندرية كانت مقصد الثقافة الهلينية ؟

(راجع دراسات الدكتور محمد محمود السلامونى بحوليات كلية آداب الإسكندرية وعين شمس ، وكذا دراسات الدكتور زكى على والدكتور لطفى عبد الوهاب والدكتور إبراهيم نصحى) .

السبب واضح فى أن البطالمة الحاكمين كانوا من مقدونيا ، لكن المدينة امتلأت بأفواج وطوائف من شتى بلاد اليونان وبلاد الشرق والغرب ، فلم يكن هنالك من بد إلا أن تسيطر لهجة واحدة تمتاز بخصائص فنية وحيوية واجتماعية مع شروط فيلولوجية لكى تسود وتفرض وجودها على المجتمع الجديد الذى تبلبلت لغاته ولهجاته بالإسكندرية.

وكما كانت لهجة قريش أغنى اللهجات العربية وأرسلها على اللسان ، كانت اللغة الأتيكية بالإسكندرية (ولغة أريستوفان أغنى لهجات أتيكا وأخصبها) ومن هنا كان الاهتمام الشديد بأريستوفان الذى وضع على رأس القائمة فى دارسة اللهجة الأتيكية بالإسكندرية .

وكما أن لهجة قريش لم تظفر بالجهبذة والفحص والشرح والتقعيد النحوى والإملائى والبلاغى وما إلى ذلك من علوم اللغات والآداب إلا فى الكوفة والبصرة وبغداد بعد قيام الإسلام بأكثر من مائة عام ، حدث نفس الشىء بالإسكندرية فيما يتعلق بلهجة أتيكا فى الإسكندرية أنشىء النحو اليونانى . وقواعد الإملاء وتفريع العلوم البلاغية والخطابية وتصنيف الكلام ، حتى موازين الشعر (وقد كان يكتب كالمنثور) نظمت أعمدتها بالإسكندرية ووصفت بحورها وصفاً مستفيضاً يوم أن قرر البطالمة بأن تكون اللهجة الأتيكية هى اللغة الرسمية فى البلاد وأصدروا فى ذلك مرسوماً .

وكما خدم الشعر الجاهلى فى مسألة الصرف والتقعيد والبلاغة بالنسبة للغة العربية كان أريستوفان وبعض معاصريه ممن أجادوا فى اللهجة الأتيكية أساساً لهذه الدراسات .

ولهذا قيل بحق إن أريستوفان خدم بالإسكندرية خدمة جليلة وبلغت الأبحاث فيه مستوى لم يبلغه إلا هوميروس .

على أن أكبر من خدم أريستوفان بالإسكندرية هو ديديموس (٦٥ ق.م ١٠ م) فقد جمع للتاريخ كل ما كتب عن أريستوفان إلى عهده مع معجم ضخم للكوميديا . وعلى مصنفات ديديموس اعتمد الدارسون من بعد .

غير أنه بتوالى السنين وتقلب الأحوال ضاعت الأصول ولم تبق إلا مقتطفات فى بطون الكتب مايزال العالم يلهث وراءها بحثاً وكشفاً وتحقيقاً .

نصوص من أريستوفان تكتشف بالصعيد :

فى كتاب الهلينية فى مصر ، تأليف السير هارولد ميل وترجمة الدكتور زكى على ، يجد الباحث كيف تكونت ثقافة مختلفة فى عهد البطالمة ثم استوت الحضارة الإنسانية كلها فى بوتقة الإسكندرية وظلت من بعد تشع من روحها عند الرومان والروم (البيزنطيين فى القسطنطينية) وعند الفرس ثم العرب الذين حفظوا التراث الإنسانى وأضافوا عليه من روحهم وأشعوا به سماء أوربا فى القرون الوسطى فنهضت لتنشئ المدينة المعاصرة .

لكن الغريب فى المرجع المذكور هو تلك الكشوف الأثرية بقرية البهنسا مركز بنى مزار فهى تدعو إلى الدهشة حقاً ، إذ أنها ترجع إلى القرن الثانى الميلادى ومع ذلك فمن بينها ذخيرة من الأدب اليونانى الكلاسيكى مشروحة ميسرة للدراسة وعلى رأسها هوميروس وهسيود وسافو وميناندر وكاليماخوس وبندار ومقتطفات لا بأس بها من مسرحيات اسخيلوس المفقودة ، ومن المستطاع التعرف على ما يقرب من أربعين من رواياته ذلك عدا الكثير غيرها من شعر سوفوكل ويوروبيد وأريستوفان وشعر الأغانى ، وهذه القرية (البهنسا) كانت مثل جميع قرى مصر لديها مثل تلك الذخيرة التعليمية .

إن هذا ولا شك يهم العالم الحائر الذى كاد يفقد الأمل فى دراسة أريستوفان ، ثم إننا نسأل جامعاتنا عن هذه الذخيرة ماذا تم بشأنها من فحص فيلولوجى وقد مر على كشفها سنوات . . . فى جامعاتنا الأربع دراسات كلاسيكية مثل كل جامعات العالم ومع ذلك فإن المراجع التى بين يدى وآخرها دراسات مستفيضة من جامعة موسكو عن أريستوفان بمناسبة الاحتفال بيوبيله وليست فيها إشارة واحدة إلى ما كشف فى مصر من ذخيرة عن أريستوفان وغيره فى العصر الهلينستى .

مصر تدرس أريستوفان ألف عام :

ونعود إلى كتاب (الهيلينية فى مصر) فنرى رسالة من صديق بالقرية إلى صديقه بمدينة مصرية أخرى . « انسخ لى صوراً من الكتابين السادس والسابع من شخصيات

فى الكوميديا للمؤلف هيبسكراتيس ووافى بها فإن هاربوكراتيون يقول إنها موجودة بين كتب بوليون ويحتمل أنها لدى آخرين » .

ولاعجب فى هذا فلقد كان المسرح والخطابة فى مقررات التعليم ، لذلك وجدت فى هذه الذخيرة مسرحيات كاملة بعضها للشاعر يوبوليس الذى عاصر أريستوفان .

من هذا يجب أن نتحفظ فى القول فنقول . المفقود من أريستوفان إلى الآن أوماعثر عليه للآن١٣مقالة عن كوميديا أريستوفان مطبوعة ضمن (Prolegomena de Comœdia) ولم يذكر اسم مؤلفها ، وفيها تعليقات لبلاتونيوس وأندونيكوس وبها ١١ مقالة عن الكوميديا بصفة عامة ومقالتان عن أريستوفان وكلها بأسلوب تعليمى وبجانب هذا بقيت ملخصات نثرية لإحدى عشرة مسرحية . مثل هذا بقى فى بيزنطة من القرن الثانى عشر الميلادى باسم يوانيس ترتزيس . Tzetzis

دور العرب فى حفظ التراث اليونانى :

قبل أن ننتقل من مصر والإسكندرية إلى بيزنطية ينبغى أن نشير إلى دور العرب فى حفظ التراث ، ولن أطيل الكلام مكتفياً بالإشارة إلى مرجع واحد هو فهرس ابن النديم ، الذى سجل ماترجم عن اليونانية فى عصر الخلفاء وعصر المأمون وما بعده بقليل . يذكر ابن النديم أسماء بعض النقلة :

اصطفن (ستفانوس) نقل لخالدبن معاوية كتب الصنعة فى الكيمياء من الإسكندرية .

البطريق وابنه زكريا نقلا للخليفة المنصور العباسى كتباً فى الطب أكثرها من الإسكندرية .

الحجاج بن مطر نقل المجسطى وإقليديس للمأمون وهى مؤلفات يونانية سكندرية .

ابن ناعمة نقل السماع الطبيعى .

مطران الموصل حبيب نقل للمأمون كثيراً .

زوربا بن كاجوه والكندى الفيلسوف نقلوا جميعاً من اليونانية .

ثم عشرات آخرون يذكرهم ابن النديم من المترجمين السريان والروم والعرب أخذوا يعملون فى شبه خلايا نشطة للترجمة :

ويسوق ابن النديم قصة تقول إن اليونان منذ تنصرت جبت علوم الوثنية وخزنتها ولم تسمح بالاطلاع عليها ، يقول أبوإسحاق وقد أرسله المأمون (للمفاوضة) مع ملك الروم (على الكتب) : رأيت ببلد الروم هيكلا قديم البناء لم ير أعظم منه فسألت ملك الروم أن يفتحه لى فامتنع لأنه أغلق منذ تنصروا (تنصروا فى القرن الرابع الميلادى وقصتنا هذه فى القرن الثامن الميلادى . . أى أن المخزون مرت عليه أربعة قرون) — فما زلت بالملك حتى سمح لى ، فوجدت به كتباً تحمل على ألف جمل ، بعضه أكلته الأرضة وبعضه أخلق وبعضه على حاله . .

ولم يذكر ابن النديم ما أخذ أبوإسحاق وما ترك . . وكذلك فى قصص أخرى كثيرة نجد العرب فى البلاد المفتوحة ينفضون الغبار عن تراث الأقدمين وينقلونه وفى البلاد غير المفتوحة يفاوضون على الكتب ، ويتبادلون العلماء فى شبه سفارات علمية .

المهم أن الفهرس لابن النديم من ص ٣٤٠ يسرد أسماء مئات من فلاسفة اليونان وعلمائها وأدبائها ومع كثرة من مؤلفاتهم التى ترجمها العرب إلى العربية ، ثم ظهر بعد المأمون عدد كبير من الأعاجم الذين أتقنوا العربية والرومية فقاموا بدورهم ونقلوا كثيراً ، ويكفى ذكر ابن الرومى الشاعر وابن جنى النحوى وياقوت الحموى المؤرخ وكلهم أصلا روم (يونانيون) .

هل ترجم العرب لأريستوفان ؟

العجيب أننا لانعثر على أريستوفان وزملائه من شعراء التراجيديا بين ماترجم العرب . يقول بعض الباحثين إن العرب استغنوا بأدبهم عن أدب غيرهم ولم يترجموا إلا العلوم ، إذن فلماذا ترجم ابن المقفع كليلة ودمنة ؟

ويقول البعض إن العرب عزفوا عن الأدب اليونانى لما فيه من وثنية ، فلماذا

ترجموا وشرحوا أفلاطون وأرسطو وأفلوطين وفى تصوراتهم للخلق والكون مايزعزع العقيدة الإسلامية ؟

لم يهتم العرب بترجمة الدراما اليونانية بين ماترجموا من الفلسفة والعلوم والفلك والصناعة والفنون ، لسبب بسيط وهو أن العرب لم يكن عندهم مسرح ولم يفكروا فى صناعة المسرح فلماذا يترجمون الدراما إذن ؟

إن المسرح ظاهرة اجتماعية ترتبط بالنظام الديموقراطى والتجمع الشعبى وسلطة الشعب فى اختيار الحاكم ، والحكم عند العرب كان عن طريق البيعة فى عصر الخلفاء ثم بالوراثة بعد الخلفاء ولم نشاهد فى تاريخ العرب اتفاقاً شعبياً على انتخاب حاكم بالمعنى الديمقراطى الذى عرف فى مدينة كأثينا ، والفرق واضح وهو أن العرب كانوا يحكمون مساحات شاسعة ودولا واسعة الأرجاء يصعب عملياً فيها تطبيق الانتخاب بالشكل المعروف فى حكم المدينة .

يكفى العرب فخراً أن حفظوا التراث الإنسانى برمته ، ما ترجم منه وما لم يترجم وبهذا وصلنا منه الكثير .

أهم مراجع أريستوفان :

ننصح من أراد التوسع فى تحقيق مخطوطات أريستوفان ألا يغفل دراسة الأستاذ سابولفسكى بأكاديمية موسكو تلك الدراسة التى أعدها بمناسبة يوبيل أريستوفان سنة ١٩٥٤ م .

وهناك بحث آخر عن مصادر التعليقات الخاصة بأريستوفان (Scheinder)

"De Veterum in Aristophanem Scholiorum Fontibus Commentatis" Sundiae.

وطبعة أكسفورد لديندورف Dindorf سنة ١٨٤٢ م .

وطبعة لندن سنة ١٩٠٥ لريذر فورد W. Rutherford وهى الطبعة المصححة .

أما الدراسة الشاملة فنجدها فى الباب الحادى عشر من الحديث عن الكوميديا . Prolegomena de Comœdia (طبعة برجاء) وهو بحث يشمل معجم سويداس ويعتبر بحق تعويضاً للجزء الضائع من كتاب الشعر لأرسطو فى الكوميديا .

مسرحيات أريستوفان فى إطار العصر

فى أربعين عاماً كتب أريستوفان أربعاً وأربعين مسرحية :

عرفنا منها إحدى عشرة كاملة ، وأربعا فيها شك وثمانى مجهولة أسماؤها ، وإحدى وعشرين بأسمائها مع مقتطفات منها وآخرها دانايبديس (بنات داناوس) ولهذا الاسم علاقة كبيرة بمصر . ولذلك فصلنا فيها القول فى العلاقة بين مصر واليونان .

أريستوفان فى إطار العصر

(٤٥٥ ق.م – ٣٨٥ ق.م)

من هذا التاريخ نلاحظ أن ميلاد أريستوفان كان فى قمة ازدهار أثينا ، أيام بريكليس والخزائن عامرة والأعياد كثيرة والثقافة واسعة متنوعة والملاعب والمسارح قد دخلتّها الملهاة ، والمشرفون الأغنياء يرعون الشباب بالفتوة والرياضة والعلوم ، ويتغنى الشعراء ببطولات الشعب الإغريقى ضد البرابرة كما يتغنون بالحياة الحرة ولذاتها ويتخلل ذلك أصوات تشيد بالوحدة الهيلينية بين شعوب اليونان . وفى الفترة الأولى من حكم بريكليس تعقد أول هدنة طويلة (٣٠)سنة بين أثينا وإسبرطة تبدأ من سنة ٤٤٥ ق.م ويتفرغ بريكليس لعصر سلام حقيقى وتشيد الصروح والعمارات وأهمها البارثينون الذى عمل فيه المثال المشهور فيدياس ، بين هذا الغنى المادى والروحى عاش أريستوفان صباه فى أثينا ، وفى سنة ٤٣١ ق.م أقطعت أسرته مزرعة كبيرة فى جزيرة إيجينا على قرب من شرق أثينا فتزداد ثروة الأسرة فجأة ويجد الشاعر الشاب فرصة من التفرغ فى هذا الجو الشاعرى الجديد وتكون لغته وأفكاره قد أطاعت بنانه فيؤلف أول مسرحية ضاحكة تشق طريقاً جديداً فى أساليب الكوميديا المعاصرة له ، والتى كانت بفحشها وإسفافها دافعاً لمثله على شق أسلوب جديد ، بدأ بمسرحية :

١ – **ديتاليس على مجلس الشراب :** (سنة ٤٢٧ ق.م – وقد ضاعت) .

واسمها مشتق من معنى المائدة والسيمبوسيون ومجالس الشراب التى اشتهرت بالبدع الجديدة فى ذلك العصر المترف . كتبها الشاعر وسنه حوالى العشرين أى أنه أصغر بكثير من شعراء المسرح المعاصرين فرنخيوس وسوفوكل ويوروبيد ، ويحاول أريستوفان فيها تجريح البهتان والسفسطة والخطابة والبدع العلمية الجديدة التى أفسدت شباب أثينا المتخم بالترف والفراغ الباحث عن الفرص أو العازف عن الحياة من وفرة الشبع . . . وبطل الكوميديا (ذينا) أى فلان ، وله ولدان أحدهما تلميذ للمدرسة

الأصولية القديمة، والثانى غبى فارغ العقل والقلب ينتمى لمدرسة المجددين ، والمسرحية تعرض المفارقات وتفضح هذا اللون من البدع فى أثينا . ولا يقدم أريستوفان مسرحيته الأولى باسمه وإنما باسم المغنى الأول مدرس الكورس (فيلونيد) وذلك فى أعياد ديونيس قرب الربيع وتنجح المسرحية وتفوز بالجائزة الثانية.

ويهمنا من هذه المسرحية الأولى التى ضاعت أن نستشف صورة الشاعر فيبدو لنا، أنه ينزع إلى الأصالة ويحارب البدع ، وإن — تفرغه فى جزيرة إيجينا قد أتاح له هذه النظرة الواسعة ، فإن بعده عن أثينا فى تلك الفترة الحرجة من الترف والفساد أنقذه من التردى فيما وقع فيه شباب أثينا من بلبلة الفكر والانتهازية كما نرى أنه دخل المسرح صغيراً وخشى أن يواجه الناس باسمه وشخصه وكان ذكياً فى ذلك إذ كانت مسرحيته على هوى أصحاب الأصول من رجال أثينا الغاضبين على شباب اليوم وبهذا ضمن لها الجائزة .

* * *

٢ — البابليون : (سنة ٤٢٦ ق . م — وقد ضاعت بدورها) :

بعد مرور عام من تقديم المسرحية السابقة قدم أريستوفان هذه التمثيلية وأخفى اسمه أيضاً وعهد بها إلى معلم الكورس كاليستراتوس . والمسرحية طعنة جريئة لمشروعية الانتخابات الديموقراطية التى استبعدت أشد الأثينين إخلاصاً وأوسعهم علماً من الحكم ودخلت طبقة من المهرجين أمثال كليون بائع الجلود — وصناعة الجلود فى تلك الفترة من أهم الصناعات الحربية فمنها الدروع والنعال وما شابه ذلك من لوازم الجند — وفضح أريستوفان مسعى طبقة التجار فى ابتزاز أموال حلفاء أثينا وإذلالهم ورفع شأن الأجانب الأعداء على شأن الحلفاء — ولذلك جعل الكورس فى المسرحية مكونا من الحلفاء فى مظهر الرقيق باسم البابليين . ولقد اتهمه كليون فى هذه المسرحية بأنه عدو للشعب خائن للوطن وهدده وعذبه . ويظهر أن شاعرنا قد استوى عوده ووفق فى فنه وأسلوبه ، فلم يقم وزناً لتهديد الحاكم خاصة بعد أن برأته ساحة المحكمة واهتم بفنه الجديد جمهور أثينا الساخط على البدع وعلى الحاكم من جهة أخرى فالشاعر لم يحرم من مزرعته فى إيجينا وظل مواطناً أثينياً غيوراً يتمتع بحقوق المواطنة والإقطاع ، ثم هو قد تزوج ، وأنجب طفله الأول أرارون فازداد

فى خلده معنى الوطنية على مفهومها المصلحى الأوسع فى الإصلاح والنظرة البعيدة للأمور ، فالحرب البلوبونيزية على أشدها والتخريب لم يدع حجراً على حجر وإسبرطة كما تنتقم من أثينا تنتقم من حلفاء أثينا وتشدد عليهم الخناق ، والطاعون قد استشرى بالمدينة وحصد ألوف الأرواح ، وبريكليس ومدرسته من الحكام العاقلين قد أزيحوا من الحكم وسيطرت على أثينا فئة من التجار الذين لا هم لهم إلا اختلاس المال من أى باب ، فتكونت طبقة من الوشاة لا عمل لهم إلا الإيقاع بالأبرياء فى المحاكم لاستصفاء أموالهم ، ولهم من ذلك نصيب ، والمدن الحليفة لاقت الأمرين بين تهديد إسبرطة وابتزاز أثينا ، فهذه بلاتيا ولسبوس تضيعان من أثينا وكيركيرا تنقسم على نفسها فى حرب أهلية ، واحتياطى الأكروبول نزل إلى أقل من ألف تالنت ، أما الانتقام بالذبح فقد بلغ القسوة ، فإسبرطة تذبح الرجال فى المدن الحليفة لأثينا وتسبى النساء ؛ وأثينا ترد بالمثل فتذبح من جزيرة الميتلين ألفاً ، والفوضى تشتد وتهدد بالخراب الشامل واستئصال شأفة الإغريق ، وشاعرنا كما ذكرنا قد دخل الفن من أوسع أبوابه فى ذلك الحين وهو المسرح . وكان المسرح بمثابة الرأى العام خاصة فى الكوميديا ، من هنا نفسر تمسك أريستوفان به واندماجه فى الحياة العامة والسياسة شاء أو لم يشأ .

هذا يفسر مسرحيته الثالثة التى قدمها فى العام التالى سنة ٤٢٥ ق.م .

* * *

٣ ـ أخارنيس : (سنة ٤٢٥ ق.م ـ وقد بقيت بتمامها وحازت الجائزة الأولى .)

وأخارنيس اسم لأكبر حى بأتيكا جعله أريستوفان اسما للكورس ، واختار له ٢٤ رجلاً من الشيوخ الأقوياء ذوى العظام القديمة الصلبة من جيل الماراثون الذى أوقف المد الفارسى وكتب لأثينا وأوربا البقاء .

هذا الجيل الذى صنع البطولات يكره فى نفس الوقت إسبرطة وجيوش البلوبونيز التى دمرت قريتهم وأحرقت أعنابهم وهدمت معابدهم فى السنوات الأولى الانتقامية من حرب البلوبونيز .

قدم الشاعر هذه المسرحية فى (لينيا) أى فى أعياد يناير والمسرح يغلى غليان الثأر من بطش إسبرطة وحلفائها ، والأثنيون داخل الأسوار ، والمعابد مكتظة

بالسكان الأحياء، والجثث وقد تحالف عليها العدو خارج الأسوار والوباء داخلها ، وهذه الأحداث بدلا من أن تلين قناة الشيوخ من رجال الكورس تزيدهم عناداً وتملأهم حماسة بروح الانتقام .

كان شيخ الكورس فى المسرحية رجلا هرماً عركته التجارب فهو شيخ وقور لامطمح له فى لقب أو منصب أو راتب ، اشتهر فى ماضيه الحربى بالشجاعة والإقدام والأمانة ، وهو مزارع عاد إلى مزرعته فى أخريات أيامه بعد أن وضعت الحرب مع الفرس أوزارها ولم يكد يستقر به المقام لينعم بما بقى له من أيام حتى شبت الحروب الأهلية بين أثينا وإسبرطة وامتدت ألسنتها إلى أعنابه فأحرقتها .

وبرغم ذلك فإن الشيخ يعلم فى قرارة نفسه أن الحرب لا يخطئ فيها الأعداء وحدهم ، بل إنه ليدرك أن الخطأ الأكبر هو خطأ أثينا . إن هذا الشيخ برغم العرف والتقاليد فى الأخذ بالثأر أصبح يتاهف إلى السلام القومى بين دويلات اليونان وأحلافها ، وحبه للسلام يشيع فى أنحاء هذه الكوميديا بما رزق من حجة دامغة ومنطق خلاب ، إن أريستوفان يسمى البطل (ديكيوبوليس) ومعناها (المواطن العدل) ويطلق حجج السلام فى أحسن بيان على لسان البطل .

تبدأ المسرحية بظهور ربوة البرلمان وساحة مجلس الشعب ساعة الفجر والنواب يتوافدون متكاسلين ، حتى رئيس المجلس لايحضر فى موعده ، وديكيوبوليس وحده قد حضر مبكراً ، وتبدو عليه أمارات الاهتمام والتحمس للنداء بفكرة السلام ووقف الحرب بين أثينا وإسبرطة ، وعلى لسانه يلقى الشاعر نقداته اللاذعة للحاكم كليون ، برغم أنه حاكمه منذ قليل وهدده ونادى فى البرلمان بضرورة إلغاء فن الكوميديا من مسارح أثينا ، ثم ينثر أريستوفان قفشاته ويوزع صفعاته على الأدباء والفنانين المعاصرين من أمثال ثيوغنى كاتب التراجيديا الصقيع وموسخو وخيرى من رجال الموسيقى فى تلك الفترة . وهذا يذكرنا بابن الرومى فى العصر العباسى إذ لم يسلم نصف ديوانه من لذعات فى الشعراء والوزراء والحكام .

ثم يظهر على المسرح بعض النواب من الرعاع جمعوا جمعاً من الأسواق لحضور جلسة مجلس الشعب يدخلون متسكعين فى صخب ويتدافعون نحو المقاعد الأولى . . ويأتى من بعد ذلك وفدان : وفد أثينى كان قد أرسل إلى ملك الفرس

لمباحثات خاصة ، ووفد أرسل إلى تراقيا . . هذه الوفود – أو ما نسميه اليوم رجال السفارات الأثينيين – يصورهم أريستوفان رجالا أذكياء لايخلون من مكر وانتهازية وحب للمنفعة فهم يمنون الشعب بعهود ووعود من جانب الملك الأكبر (ملك الفرس) وهم فى قرارة أنفسهم يعرفون النكبة التى حلت بأثينا ، وأن الفرس إنما اصطلحوا مع إسبرطة على أثينا ، ولا يهمهم كما يبدو إلا الإفادة بالراحة والمال والسفر والاستجمام والنجاة بشعر أبدانهم من سعير الحروب القائمة .

يلاحظ ديكيوبوليس أن الجو فى مجلس الشعب غير صالح لمناقشة السلام ، وأن صوت الحق ضائع فى ساحة الباطل ، فيخرج مهموماً لكنه يجد حيلة توصله إلى طريق السلام ، فيستدعى مخلوقاً علوياً اسمه أمفيثيوس يستطيع أن يحقق له معجزة – ومن معانى أمفيثيوس الوسيط الإلهى ، فيستأجره ديكيوبوليس على ثمانية دراهم ويرسله إلى إسبرطة ليعقد معها صلحاً منفرداً ، ويعود أمفيثيوس ومعه ثلاث سلات أو أوان بها ثلاثة عروض للصلح : الأول هدنة لمدة خمس سنوات والثانى لعشر والثالث لثلاثين ، فيختار العرض الثالث ويرى فيه طعماً إلهياً ونفحة روحية من العنبر والنكتار ، فهذا هو السلام الطويل الذى يضمن سعادته وسعادة أسرته .

ويهرب أمفيثيوس خوفاً من رجال الكورس الذين شموا رائحة الخيانة ، كما يهرب ديكيوبوليس ويحتمى ببيته مع أسرته ، ثم يستعد لإقامة احتفال ديوينسى ريفى احتفاء بهذا الصلح المنفرد .

ويبدأ نشيد الكورس متسائلا عمن جاء بهذا الصلح ، ويتهددون من تجرأ بعقد صلح منفرد ، فيظهر ديكيوبوليس خارجاً من المنزل ومعه قربان يقترب به من المذبح وهو ينشد نشيد السلام ، فينقض عليه رجال الكورس ليقتلوه وتبدأ الملحمة الدرامية والمحاجة المسرحية ويزدحم المسرح بشعب أثينا الذى يقدس الديموقراطية ، وهنا نسمع شعر أريستوفان على روعته وفنونه وحماسته فى أجرأ ما يقال أمام الرأى العام ، تسبق ذلك حيلة فكاهية إذ يذهب ديكيوبوليس أولا إلى يوروبيد شاعر التراجيديا يستمد منه العون فى شحذ أسلحته الكلامية ، وتموين صدره بالحجج والمؤثرات النفسية ، وهنا يهلهل الشاعر غريمه يوروبيد ويسخر ويسخر منه على تجديده فى فنون الشعر ويعيره على شخصياته الدهماوية العاطلة :

(وهذه صورة من الحوار المبسط بين ديكيوليس ويوروبيد)

ديكيوبوليس : أين سيدك ؟

خادم يوروبيد : موجود وغير موجود !

ديكيبوبولس : كيف ؟

الخادم : جسمه هنا يكتب بأصابع رجليه ، وعقله سارح فى الملكوت يجمع عناصر تراجيديا جديدة .

ديكيوبوليس : يالحسن حظك يايوروبيد ! ! لك خادم كلامه حكم . .
(ثم ينادى بصوت مرتفع)
يوروبيد ! ! . . يوروبيد ! ! . .

يوروبيد : (من داخل المنزل) . . مش هنا ! . . .

ديكيوبوليس : اظهر وبان . .
(فيتحرك المسرح ويكشف عن يوروبيد راقداً ورجلاه إلى أعلى وعلى الجدران صور مسرحية) (ويرد ورأسه من أسفل) . .

يوروبيد : ماذا تريد ؟

ديكيوبوليس : دهده . . . راسك تحت ورجلاك تكتب من فوق ؟ !
آه : لقد فهمت الآن علة شخصياتك المشقلبة .

يوروبيد : تشرب أى شىء ؟ نبيذ عنب ، أم عرق البلح ؟

(هكذا كان أسلوب أريستوفان أول عهده بالمسرح ومداعباته لمعاصره يوروبيد وغريمه على المسرح ، مع أن يوروبيد يكبر أريستوفان بحوالى ثلاثين عاماً . .)

ثم يتوجه الشاعر إلى الناس فيقنع الجمهور بمنطق الفن الضاحك الساخر أن مسئولية الحرب وأخطاءها ليست من جانب الأعداء وحدهم وإنما لأثينا نصيب فى شرور الحرب ـــ ولكن تجار الحروب فى المسرحية وعلى رأسهم لا ماخوس لايقتنعون بل يعاندون ، فيعلن ديكيوبوليس أنه سيفتح تجارة مع مدن الأعداء

فى البلوبونيز وفى ميجارا برغم دمارها وفقرها .

وتظهر السوق التى أقامها ديكيوبوليس وقد سماها سوق السلام وجعل لها حاجزاً تدور الحروب من خلفه ، وتبقى السوق فى سلام كمنطقة محايدة ويمر بالسوق غريبان أحدهما من ميجارا والآخر من طيبة . . الميجارى مهاهل الثياب يبيع بنتيه ويتمنى لو كانتا خنزيرين ، فيشترى منه ديكيوبوليس البنتين ويعطيه شيئاً من الملح والثوم ثمناً ويفرح المشترى ويتمنى لو استطاع أن يبيع زوجته وأمه . . ويأتى بعد ذلك متسكع من أثينا من أولئك الوشاة الذين امتلأت أثينا بهم ، ويهدد ديكيوبوليس بأنه سيبلغ عنه ، فيغمزه التاجر بشريحة .

ويأتى الطيبى ومعه أشياء كثيرة من بينها الفسيخ فيسيل لعاب الأثينيين ، فمنذ سنوات لم تذق أثينا طوال مجاعتها فسيخاً . . ويسيل لعاب لا ماخوس قائد الجيش فيرسل خادمه بأربعة دراهم ليشترى واحدة يحتفل بها ، لكن ديكيوبوليس يرفض . . وتروج تجارة ديكيوبوليس ويدخل بيته يحمل مكاسبه ، ويصبح البيت غنياً سعيداً وشعب أثينا محتاج إليه . . فيأتيه فلاح سرقت بقراته ويطلب دواء وهو يقدم كأس السلام ثمناً رمزياً وآخر عريس يقدم كأس السلام طالباً من ديكيوبوليس أن يجنده فى السوق المحايدة حتى يعفى من الخدمة العسكرية ، فيبقى مع عروسه ليلة قبل أن يموت . فيرفض ديكيوليس ، لكنه يرسل كوب سلام للعروس لأنها امرأة لاشأن لها بالقتال .

خلال ذلك يرسل لاماخوس إلى ميدان المعركة لحراسة جبل الثلج ، ويأتى كاهن المدينة يتقرب من وليمة ديكيوبوليس (الحفل فى ساحة ديكيوبوليس) وجميع محبى السلام فى مرح ونعيم . . والمحاربون يمرون عليهم مهلهلين أصابتهم العاهات والجروح ، وعلى مظهرهم البأساء ، وتنتهى الكوميديا بهذا التناقض بين نعيم السلام وجحيم الحروب .

* * *

٤ — الفرسان : (فى شتاء سنة ٤٢٤ ق.م ونالت الجائزة الأولى)

بعد عرض مسرحية أخارنيس بأيام ، وكانت أثينا فى حروبها الأهلية المتصلة مع إسبرطة وحلفائها . كلما هدمت إسبرطة حليفة من حليفات أثينا فى البر راحت أثينا بأسطولها البحرى القوى تدمر الموانى الخاضعة لإسبرطة وحلفائها ، وازدادت

روح الانتقام بين الغريمتين إلى درجة استصفاء الأموال وذبح الرجال ، ولم تسلم جزيرة إيجينا وفيها مزرعة أريستوفان ، من هجمات الفريقين . . فنى سنة ٤٢٥ ق.م وبعد أن شاهد الأثينيون مسرحية أخارنيس وتأثروا بها وفكروا بمنطق السلام وتطلعوا إلى أخطاء الحكام واختلاسات المنتهزين وجشع تجار الحروب ، وجدوا حكامهم يقومون بحملات انتقامية على الأعداء والأصدقاء معاً ، يفرضون عليهم جزية ، فإن لم يدفعوا ذبحوا وأبيدوا وأخرجوا من ديارهم ، مما جعل أصدقاء أثينا فى تلك الفترة تنفض عن أثينا وتقفز إلى صفوف إسبرطة والبلوبونيز . وقد كان بجزيرة أريستوفان (إيجينا) وهى من أكبر الجزائر الخصبة ، قوم من الدوريين رأت أثينا الفرصة سانحة لإخراجهم من ديارهم وتهجيرهم إلى أراضى البلوبونيز كى يزيدوا الحالة هناك ازدحاماً وتوتراً فى أرض العدو ، ويزيدوا خزائن أثينا بما خلفوه من أموال وأراض ، والمؤسف أن بعض هؤلاء المهاجرين الأبرياء قد حاولوا الهرب من الدولتين معاً ، فكان نصيبهم القتل والحرق .

كل هذا لم يكن يمر على الشاعر عبثاً وهو الذى قد حمل رسالة الكوميديا ونال فيها الجائزة الأولى لأول مرة فى حياته فشعر بضخامة المسئولية كرجل مبصر للرأى العام ويقوم بدور الصحيفة المعارضة فى النقد والنقد الذاتى ، ويرد المخطئين إلى عقولهم قبل أن تودى الكارثة بالإغريق جميعاً إلى الدمار .

فأبناء أبطال المارثون وسالاميس وثرموبيل وبلاتيا وميكالى قد فعلوا فى هذه السنوات بأنفسهم أبشع مايفعل البشر ، من الانتقام والتدمير دون أن تجرؤ أثينا وإسبرطة — قطبا الخصام — على مواجهة بعضهما فى معركة حاسمة تمنع تسلسل الحرب وشرورها بين المدن البريئة . . هم يخربون ويسطون ويسرقون ويذبحون دون ما شجاعة ولابطولة تذكرنا ببطولة آبائهم فى مواجهة الفرس (العدو الحقيقى للإغريق) والذى مازالت أصابعه تلعب بالنار تشعلها بين الإغريق لاستنزاف دمائهم وقواهم .

أخيراً فى صيف سنة ٤٢٥ ق.م نرى جيش إسبرطة يدخل مدن أتيكا ومزارعها كعهده كل عام ليقوم بتخريب مابنى وحرق مازرع . . ثم يقف — كعادته كل عام فى مثل هذا الموعد منذ بدأت حروب البلوبونيز — من دون أسوار أثينا

للحصار بضعة أشهر . ولكن أثينا من جهة البحر ترسل أساطيلها بدورها لتخريب أراضى أعدائها وتسطو ماشاء لها السطو وتدمر ماشاء لها التدمير . . هذا الصيف نرى ملك إسبرطة أجيدوس لا يحاصر أثينا أكثر من خمسة عشر يوماً . أكثر من ذلك أنه خلع خيامه ذات ليلة وغاب عن الأنظار فجأة . . وتطلع الأثينيون إلى أنفسهم من فوق الأسوار . . ما الخبر ؟

قصة ذلك أن أثينا أرسلت قائدها البرى ديموستين (وهو غير ديموستين الخطيب الذى اشتهر بعد ذلك بحوالى نصف قرن) ومعه القائد نيكياس فرسم خدعة أوقع بها عدداً من أشراف إسبرطة فى الفخ . . وهناك القائد لاخيس يستولى على ميلاس وميسينى ، وهناك أسطول أثينى آخر يعيث بين صقلية وكيركيرا . . . لكن إسبرطة لم تكن لتنتظر خدعة بحرية برية فى عقر دارها كالتى قام بها ديموستين الذى أغلق الطريق على ٤٥٠ من سادة إسبرطة وملوكها فى جزيرة إسفاكتيريا ، ولولا حيلة عبيدهم وأوليائهم لماتوا جوعاً .

جن جنون إسبرطة عندما علمت بالخبر فأرسلت وفودها إلى أثينا تطلب الصلح وتعرض ماتستطيع من تنازل . ولوكان بأثينا حكام عقلاء لأفادوا بهذه الفرصة النادرة فى السلام ولكن . . . لكن كليون تاجر الجلود وصانع الدروع والنعال والنبال لايريد هو ومن حوله ممن اتخذوا الحرب صناعة وتجارة ، أن تكف معارك القتال فتبور تجارة التدمير والفساد . . رفض كليون الصلح . . . ثم أوهم الأثينيين بخطة مضللة أن معركة شديدة الأهمية تدور فى جزيرة اسفاكتيريا وأنه وحده الذى يستطيع أن يحسمها ، وفعلا جرد كتيبة وذهب على رأسها ليأخذ أسرى الإسبرطيين الأشراف إلى أثينا ويعرضهم عرض الحيوانات على المدينة كى يكسب نصراً غوغائياً .

والغريب أنه قبل أن يعود بهؤلاء الأسرى (ذوى القيمة) إلى أثينا يأمر القائدين الباسلين ديموستين صاحب النصر الحقيقى وسوفوكل (شاعر التراجيديا المشهور) بأن يتابعا حملتهما فى البحر إلى عمليات حربية أخرى بكركيرا شمال غرب اليونان حتى يفرغ له الجو فى أثينا .

هذه اللعبة الحقيرة المكشوفة التى موه بها الحاكم على عقول الشعب دارت فى رأس أريستوفان فنسج عليها كوميديا الفرسان . . فجعل فرسان أثينا كورس

الدراما وفضح ما نزل برجال الحرب من زيف وبهتان ، وجعل بطل الدراما شخصاً يرمز إلى جمعية الشعب التى لم تعد تبصر الحقيقة أو تميز البرهان بين غبار التمويه والتهويش ، ثم جعل الحوار يدور بين عبيد يرمزون إلى الشعب الذى لم يعد تهمه الحقيقة بقدر ماهو يتسلى بجعجعة الحكام المنتهزين . . وهو يرى أن كل من استطاع (تهويش) الشعب بصوت أعلى ، ومناه بوعود أكثر فهو منتخب دون شك للرئاسة بصرف النظر عن ماضيه أو حاضره .

وأبحر أريستوفان من جزيرته المواجهة لأثينا وتعتبر من ضواحيها ، ونزل أثينا ليدرس كعادته هذه المسرحية تحت اسم مستعار لكن رجال الكورس رفضوا خشية من الحاكم ، فلم يكن من أريستوفان إلا أن قام بتمثيلها بنفسه وأسفر عن اسمه ، وتعرض وجها لوجه ولأول مرة لبطش كليون .

وجن جنون كليون فأراد إيقافها ، ونادى فى البرلمان بإبطال الكوميديا من المسرح الأثينى ، وهدد وأرعد لكن أريستوفان قدمها وكتب بهذا الصمود بقاء الكوميديا على المسرح الأثينى . . لاقى فى سبيل ذلك الويل والنكبة والمصيبة لنفسه ولأولاده وبيته ، لكنه انتصر على طريقته فى إضحاك القضاة والمسئولين حتى كسب القضية فبرأ نفسه وبرأ الملهاة .

ملخص لموضوع الفرسان :

إن الرسام الكاريكاتورى بعينه الناقدة يشتمل الصورة بحذافيرها ويستوعبها استيعاباً لكنه بخط واحد أو بخطين يبرز روح الصورة وجوهرها فى ذكاء نادر.

هكذا كان أريستوفان عندما لمح بين هذه الأحداث المتلاطمة عمل كليون المتشعب، ليخرج على الناس بالجملة المشهورة : « طبخ آخر طعاماً فلما نضج مر به كليون فأكله » ثم وضع كليون فى كفة ، ووضع فى الكفة الأخرى أى جعجعة تعلو عليه فتفوز بالحكم فى تلك الفترة .

ثم وضع الشعب كله فى صورة الأوتاد تدق بعضها فتحدث جعجعة أخرى فارغة الصدى ، ثم وضع جمعية الشعب فى رجل لايهمه من الأمر إلا الوعود (رمز البرلمان) .

هكذا بنى دراما الفرسان على أعمدة رمزية فى صورة تصور الفترة سنة ٤٢٥ق.م — ديموس العجوز ولقبه بوكنتس : وديموس فى اليونانية معناها الشعب وبوكنا معناها ربوة البرلمان التى تجتمع عندها الجمعية الكبرى للشعب أربع مرات كل عام ، للتصديق على الأمور العليا للدولة ومن بينها إعادة انتخاب الحاكم ، وقد وصف أريستوفان ذلك العجوز فى رواية بأنه كواموتروكس أى آكل المحار ، فعلى المحار كانوا يسجلون أصوات الانتخاب أو الاستفتاء ، وماضغ المحار هو مجلس الشعب أو الشعب نفسه الذى يجتاز عصر المجاعة والخراب ولا يجد إلا الطعام الفارغ من الجدل والتصويت على المحار واللغط .

والديموس غلامان (خادمان) هما ديموستين (القائد) ونيكياس (قائد آخر) يمثلان الجيش العامل فى فراغ دون أن يكون له رأى أو فهم للمشكلة .

وغلام جديد اشتراه ديموس العجوز واسمه بافلاجانوس ومعناها الجعجاع ، وقد سارت مثلاً فى تلك الآونة على كليون الحاكم ، وكان السادة يقرعون بها عبيدهم .

أغوراكريتوس : تاجر خبيث صفيق الوجه لاضمير له وبضاعته فارغة مثل حالة أثينا فى تلك الأيام وعلى صوته الشديد يعتمد فى الكسب .

الكورس : ٢٤ من الرجال الأشداء يرتدون الدروع ويمثلون الجيش الأثينى البطل صاحب القلب الأبيض والإيمان بالبطولة والوطنية والفداء لكنه غافل عن ألاعيب السياسة الغشوم ، وهو على المسرح يتخذ سمة البراءة مع التعصب والإيمان لدرجة السذاجة .

تبدأ الدراما بأن يتحدث الخادمان القديمان عند ديموس العجوز ويتحاوران فى مرارة ويأس عن سيدهما الذى اغتر بالخادم الجديد ونفاقه وريائه وفضله عليهما وهما الأمينان ، ثم يكفران فى التخلص من هذا المنافس الجديد ، فيسرقان حجابه الذى يحتوى على نبوءة تقول بأن الحاكم الجديد الذى سوف يخلف كليون سيكون بائع مكانس ، ومن بعده بائع غنم ، ثم يأتى حاكم نذل يتمم بخراب أثينا . ويفرح ديموستين بهذه النبوءة ويعلن بصوت مسموع فيه كثير من التشفى :

« خلاص يابفلاجانوس (كليون الحاكم) ياتاجر الكرش والممبار ، سوف

يخافك من هو أسبق منك وأعرق فى التمويه والبهتان » .

ويسعى الخادمان فى البحث عن تاجر يمتاز بكثرة رذائله وحسن استعداده لتعلم طرق التهويش فى الحكم حتى يرشح لحكم أثينا .

ويشم بفلاجانوس ريح المؤامرة ، ويخشى الخادمان على مصيرهما ، فيستنجدان بالكورس (الفرسان) ويأتى الكورس ويعلم بالأمر فيقف للتحكيم .

ويبدأ التاجر الجديد ، بعد أن أخذ درساً من الغلامين فى طريق التهويش وصب اللعنات والشتائم بصوت أعلى من صوت كليون ، حتى غلبه وصفق الفرسان وجاء دور المستندات (ويقدمها أريستوفان على شكل استخارات دينية تستمد قوتها من المعبد) فعندما يحتج كليون بأنه كاب أمين لمصلحة الشعب (ديموس العجوز) ينادى التاجر المنافس بصوت أعلى ويقول إن عندى استخارة تدمغ استخارتك بالبهتان ، فهذا الكلب يهز لك ذيله ثم يغافلك ويسرق طعامك ويلعق نبيذك ويقرض جزائرك .

ثم يأتى دور الهدايا والمجاملات وكلما تزلف كليون لديموس بهدية غلبه التاجر بهدية أكبر حتى تفرغ ساة كليون . . أخيراً ينتصر التاجر ويتسلم زمام الحكم ، ويحاكم كليون ويعاقبه بأن يجعله بائع ممبار عند أسوار أثينا ، والشعب حينئذ يقيم الأفراح للحاكم الجديد ، فيرقص ديموس ويعود إليه ثوب الشباب والرفاهية الزائفة ، وكأنها أضغاث أحلام برغم واقع الفوضى والدمار الذى حل بأثينا .

وتنتهى المسرحية لتترك أثرها العميق فى عقلاء الشعب الأثينى . . لكن طبيعة الأمور فى أثينا تستمر برغم سخط الشعب ، خاصة عندما احتفظت أثينا بدرع براسيداس قائد إسبرطة (فى ذلك كثير من المذلة والمهانة لإسبرطة) ثم إعدام الأسرى مما زاد الحرب سعيراً ، فتتجه إسبرطة إلى سبل جديدة فيها الموت المحقق لأثينا وكان هذا تخبطاً سياسياً أعوج من جانب أثينا وحكامها .

ولم يكتف الشاعر فى هذا العام (سنة ٤٢٤ ق . م) بمسرحية الفرسان وإنما أيدها بتمثيلية أخرى تدعى أولكاديس .

* * *

٥ ـ **أولكاديس** : (فى شتاء ٤٢٣ ق.م وقد ضاعت)

الأشعار الباقية من هذه المسرحية تدل على أن أريستوفان يستكمل بها مسرحية الفرسان ، فبعد حملة مباشرة ضد كليون وسياسته الهوجاء ، يحلل فى مسرحية أولكاديس طبقة المنتهزين من أنصار كليون ، ودورهم فى إفساد المدينة ويقف الشعب على حقيقة هذه الطبقة من أعداء الشعب .

وقد وجدت صداها فى الشعب فنالت الجائزة . . وتأكد شعب أثينا من بلاهة كليون وعدم تقديره السياسى عندما طرد المؤرخ الناقد ثوكوديد من أثينا لمجرد أنه نصحه باتخاذ خطة سياسية واقعية إزاء إسبرطة وحلفائها بدلا من إرسال الجيوش للتأديب والتأليب واستصفاء الأموال والأنفس البريئة . .

على أن فئة من العقلاء محبى السلام وعلى رأسهم نكياس حرضت الشعب على الصلح ونادت به دون خوف ، وفعلا أعلنت هدنة لمدة عام سنة ٤٢٣ ق.م ولكن فئة محبى الحرب فى أثينا وعلى رأسها كليون عرقلت المفاوضات زمناً . . إلا أن شاعرنا أريستوفان قد أحس فى نزعة الصلح شفاء لنفسه ونجحاً لمقصوده الدرامى فترك الدراما السياسية بعض الوقت ليلتفت إلى غريمه الأصلى سقراط الذى أشيع عنه فى ذلك الحين أنه من السفاسطة الذين أفسدوا شباب أثينا وبلبلوا فكره وألهوه عن رسالته فى الصراع البطولى من أجل إنقاذ الوطن .

كان ذلك فى مسرحية السحاب نفس العام .

* * *

٦ ـ **السحاب** : (ربيع ٤٢٣ ق . م ولم تفز إلا بالجائزة الثالثة)

فى هذه المسرحية تبدو قسوة أريستوفان واضحة على سقراط والعذر لأريستوفان فى تلك الفترة المكفهرة التى لم يتح فيها تمييز الخبيث من الطيب ، فالخطباء والشعراء والمعلمون والفلاسفة كلهم يبدون طابوراً خامساً يلهى الشعب عن حقيقة الواقع . . . كل يلهو بنفسه والوطن فى خطر والحاكم الأهوج لا يجد حوله من يهديه إلى سواء السبيل .

سقراط يصوره أريستوفان مزيجاً من الوقار والجلال والتفاهة والابتذال فهو فى

نظر أريستوفان كافر بآلهة أثينا باحث عن إله آخر فى السماء والأرض – لا يعترف بحكمة الآلهة القدرية وإنما يبحث فى الطبيعيات ، ويهدد بذلك قانون المدينة وعرفها وتقاليدها .

المسرحية عبارة عن رجل فلاح بسيط طيب متزوج من سيدة أثينية لعب بعقلها الترف وحب الظهور وادعاء التمدن والذكاء . . . ينجبان ولداً ويختلفان على تسميته (وهما أصلاً مختلفان متنافران فى طبعهما وعقليتهما) . . . وأخيراً يصطلحان على تسميته فيديبيس ، فإن الجزء الأول من الاسم (فيد) معناه الاقتصاد والبساطة والاعتدال وهذه ألوان تنتمى إلى روح الأب وترتاح إليها نفسه ، والجزء الثانى من الاسم (إيبوس) ومعناها الحصان الجواد المختال المسرف بطبعه ، وهى ألوان تنتمى إلى روح الأم وترتاحَ إليها وتعتز بها لأن فيها صورة أغنياء أثينا وأعيانها . . .

ويشب الطفل وقد طغت عليه صفات أمه ، فهو مسرف فى الرياضة وركوب الخيل والبذخ مع قدر من الخبث والدهاء . . .

ثم فى المسرحية مقالتان أو شخصيتان إحداهما ترمز للعدالة والاستقامة والأصولية (المدرسة الأثينية القديمة) والأخرى عكسها تماماً .

وهناك الكورس عبارة عن سحاب وهو الجزء الأساسى فى الصورة الدرامية اعتمد عليها أريستوفان فى الرمز للتغير وعدم الثبات ، وهى هباء كأفكار الفلاسفة المحدثين . الأب وجد نفسه يستدين ويصل إلى حال من البؤس من جراء إسراف ولده المدلل ويقع فى ورطة . . . إنه لا يستطيع دفع فوائد ديونه ، ويفكر كثيراً ويهديه تفكيره إلى إلحاق ابنه فى مدرسة جاره سقراط . . . (ولم تكن مدرسة بمعنى اليوم وإنما كانت تدعى : فرونديستيريون أى معهد البحث عن الحقيقة بالجهد الشخصى) ذهب الأب بابنه ليتعلم مقالة الظلم التى كانت بدعة ذلك الزمان فى التجديد العلمى السفسطى الذى يدر الربح على من تعلموه ومارسوه فى الخطابة والمحاجة حتى لقد وصل بعض تلاميذ هذه المقولة إلى المراكز العليا فى الدولة . . . أراد الأب لابنه ذلك حتى يعفيه ذات يوم من دائنيه ، وهنا يصر الولد على الرفض ، فلا يجد الأب حيلة إلا أن يلحق نفسه بهذا المعهد تلميذاً ، كى يتعلم منهج البهتان

ويزيل من نفسه رواسب الأصالة والحق التى طبع عليها . . . فكانت ثمرتها الفقر.

والمعهد نفق مظلم فى باطن الأرض ، وطلبة سقراط ومريدوه شباب شاحب الوجه بارز العظم يحفرون الأرض بحثاً عن الحقيقة . . يدخل الأب العجوز بين الطلبة الشبان فيجد كلا منهم يلهو بنفسه فى شاغل هام يشغله ، ثم لزم الأب شاباً منهم يعلمه ويبدأ الاختبار فيسأل الشاب هذا العجوز فى مسألة حسابية مؤداها أن برغوثاً عض فلاناً فى حاجبه ثم قفز إلى رأس سقراط فما مدى هذه القفزة بالنسبة لخطوة البرغوث ؟ وتستعصى المسألة على التلميذ العجوز ، وأخيراً يقرر سقراط حلا بعلامات آرجل البرغوث على صفحة من الشمع وقياس المسافة وما إلى ذلك من المنهج التجريبى والحوارى عند سقراط . . .

والفلاح العجوز وقد فغر فاه من دهشة العلم ينظر فوقه فيرى سقراط معلقاً فى قفة تتدلى من سقف الكهف وتتأرجح ، وسقراط فيها يدرس حركات الشمس والنجوم ، فيتوسل إليه أن يقبله تلميذاً يدرس إحدى المقالتين ، فيقول سقراط إننا هنا لا ندين بآلهة إلا بالسحاب . . . اللسان والفراغ المجرد . . . ويسرد سقراط طبائع الكون ، فيقول الفلاح بأنها من صنع زيوس رب الأرباب فيستنكر سقراط ويحاول إقناعه عبثاً ، ثم يمتحن امتحاناً شكلياً ويقبل ويعرّى من ملابسه حسب تقاليد المدرسة ، وتبدأ الدروس بشرح المذكر والمؤنث (والرجل قاق على ديونه) والمفارقات هنا تبلغ القمة فى الإضحاك . . . وفجأة يهتدى الفلاح إلى فكرة هدأت باله . . . إن استحقاق فوائد الدين فى ليلة البدر ، فماذا يحدث لوضاع القمر من الوجود ؟

ويفكر فى حيلة بأن يذهب إلى ساحرة من ثيساليا تسرق له القمر فيضعه فى علبة ويصبح الدين معلقاً للأبد .

هذه الفكرة تتخمر فى رأسه والأسئلة تترى عليه من سقراط وتلاميذ سقراط والذهن شارد ويبلغ اليأس بسقراط ويطرده فلا خير فيه للتعلم وعليه أن يرسل ابنه بدلاً منه .

ويذهب الابن إلى سقراط ، ويدور حوار بين الحق والباطل ، فى حجج قوية ، ويختار الابن أن يتتلمذ على الباطل ، وينجح ، ويحتفل أبوه ويدعو الدائنين

والمرابين الذين احتشدت بهم أثينا وتبدأ المجادلات والحوار ، وينهزم الدائنون ، ثم تبلغ المحاجة أشدها بين الأب وابنه ولا تنتهى إلا بدمار الأب كحتمية طبيعية لعهد الباطل .

وأريستوفان فى هذه المسرحية بلغ ذروة مجده الدرامى . . . وبالرغم من أن جمهوره خدعه فلم يفز إلا بالجائزة الثالثة إلا أنه كشاعر كوميدى يعلن بأنها أعظم أعماله ولم يسبق لها فى الشعر سابقة كما ذكرنا وأشرنا فى حياة أريستوفان .
« اجـ إشارته إلى ذلك فى مسرحية الزنابير » .

* * *

٧ — الزنابير: (فى شتاء سنة ٤٢٢ ق . م ونصها بقى مع الزمن)

بعد أن شبع أريستوفان من تجريح معامى البدع ومفسدى الشباب ومبلبلى الفكر فى داخل أثينا ، وبعد أن حشد فى مسرحية السحاب كل طاقاته الفنية وحججه فى الحفاظ على الأصوليات التى يقتضيها هذا العصر المضطرب ، التفت أريستوفان حوله فوجد المحاكم بدورها تعيث فساداً وتخرج عن طبيعتها ووقارها .

فقد كان بأثينا العاصمة وأتيكا الدولة محاكم كثيرة منوعة أعلاها أرجيوس باغوس أو المحكمة العليا ، وكانت مترفعة فى نظمها ولوائحها وشروطها ، وقد طمع هو ذات يوم أن يكون قاضياً بها لولا أنها تحرم على قضاتها الاشتغال بكتابة شعر الكوميديا .

أما المحاكم التى فسدت إلى حد كبير وذاق هو مرارتها وشاهد انحرافها فهى المحاكم العامة التى تدعى هلياتيس نسبة إلى الشمس — فقد كان قضاتها يجلسون فى الشمس فى العراء ويسمون المتشمسين ، وكانت عشر محاكم — على قدر عدد القبائل الأتيكية العشر ، وبكل محكمة ستمائة قاض يختارون بالاقتراع دون النظر إلى مؤهل خاص ، يكفى أن يتجاوز سن الرجل ثلاثين عاماً ، ويحلفون اليمين (راجع الدراسة السابقة) ويجلسون ويستمعون إلى المدعى والمدعى عليه ويحملون أصدافاً أو ألواحاً صغيرة من الشمع وبعض الحصى يخربشون فيها بأصواتهم فى القضية ، وكل قاض يدلى بصوته هذا فى الصدفة ويلقى بها بنفسه فى أوان نحاسية ثم يتم عد الأصوات وتعلن نتيجة القضية حسب رأى الأغلبية كنظام المحلفين الحالى

فى أمريكا وغيرها إلى حد ما . من حيث المنهج لا الوسيلة :

والنظام من حيث المبدأ جميل يضمن الديموقراطية فى العدالة عندما بدأ بثلثمائة قاض أيام سولون لكنه الآن وقد بلغ ستمائة ، وزاد الطين بلة أن كليون استحوذ عليه كنظام يرهب به الشعب ويستصفى به ثرواته ، وكان من السهل أن يجند فيه فئة من الناس يستهويهم بما شاء من سياسة المال والوعد الكاذب ، فلقد كان مرتب القاضى يوازى قرشين فزادها كليون إلى ثلاثة قروش ، وسلط بجوار هذا النظام فئة أخرى من الوشاة طلاب الكسب والانتهاز ، من أوشاب أثينا لا عمل لهم إلا أن يتشمموا أصحاب الثروات والأبرياء من الناس ممن لا يرضى عنهم الحاكم ، ولهؤلاء الوشاة مثل جميع المواطنين أن يرفعوا دعوى الشك ضد أى شخص ويرمون عليه تهمة الاختلاس أو التآمر أو ما إلى ذلك مما يدخل فى اختصاص هذه المحكمة ويأتون بشهادة محترفين وتقوم التهمة ويستصفى البرىء ويشرد بيته ويدخل ماله فى حظيرة كليون ويأخذ كل من الواشى والشاهد نصيبه على حساب براءة الشعب الضائع فى تلك الفترة .

لم يعجب هذا النظام أريستوفان فتناوله فى مسرحية جريئة لم يسلم من النقد فيها كليون الدباغ تاجر الحروب ، فقد فضحه فى سياسة القضاء ، وبين كيف أنه حشد فى هذه المحاكم ستة آلاف قاض من شيوخ المدينة الذين كانوا فى شبابهم جنوداً هزموا العدو الحقيقى الفارسى ، وكونوا لأثينا أمجادها وثرواتها وبعد عودتهم وشيخوختهم لا يجدون ثمرة ولا متاعاً فيقبلون على القروش الثلاثة لسد الرمق ، ويستذلون إلى درجة تنسى العدالة والأصول ، وتسير على هوى الحاكم تحكم بما يرى وما يشير . . . وقد بلغت بهذه الفئة القسوة إلى درجة أن أ. يستوفان يشبههم بنوع من الزنابير التى تلسع بإبرتها كل ما تقع عليه . . . فلا شىء عندها برىء . . . .

بدن الدراما فى هذه الكوميديا يتكون من شخصية القاضى واسمه فيلوكليون (أى صديق كليون الحاكم) ، وشخصية ابنه تحت اسم فديلوكليون ، (ضد كليون) ، والكورس ٢٤ قاضياً كل منهم فى وسطه حزام من الجلد له من الخلف دبوس من النحاس يرمز إلى زبان الدبور ، به يدافع القضاة عن أنفسهم ويلسعون كل برىء يقع تحت طائلتهم ، وعباءة القاضى لونها أسود بحيث تبعث الرهبة ، وفى يد كل قاض هراوة المحكمة بها رمز المحكمة ، وفى صدر كل منهم لوح صغير عليه رقم القاضى واسمه ، ورجال الكورس من الجنود القدماء شيوخ ببعضهم عاهات

(أوسمة البطولة) فهذا أعرج وذلك أعمى ، والفقر يبدو عليهم جميعاً ، لكن الوقار شديد الكلفة والتصنع يصاب ظهورهم إلى حد ما ، ثم شخصية الخادم سوسياس والخادم كسانثيوس ، وشخصيات أخرى فرعية مثل عازفة الناى تلك الغانية شبه العارية التى تعزف فى مجالس الشراب ثم شخصية صاحبة المخبز والشاب تلميذ سقراط والعجوز المبطوح وغيرهم وحمار يدخل فى هذا التشكيل .

أما حركة الدراما فتبدأ بحوار الخادمين وهما يحرسان منزلاً مغلقاً من حوله شبكة ويظهر من الحوار أن هذا منزل الشاب ابن القاضى ، وهو من الشباب الأصيل الناجح الواعى ، وقد حبس أباه القاضى ومنعه من الذهاب إلى المحكمة ، فقد ثبت للابن عبث المحاكم وجنون الأب من شدة تعصبه لصنعة القضاء الزائفة ، وظلمه للناس وخاصة الأبرياء .

ويحاول الأب الهرب عبثاً ويتوسل بكل الوسائل التى يفهم منها تخريف الشيخ ، فالأب قد جاوز السبعين واعتوره هذا الولع الذى سدر فيه .

ويأتى الكورس (مجموعة القضاة) عند منتصف الليل ينادون على زميلهم فيجدونه محبوساً ، ويشعرون بظلم الأبناء للآباء فيحتجون ويحاولون إنقاذه عنوة ، وتشتد المعركة ولا يحسمها إلا تحدى الابن لأبيه بأنه عبد ولعبة فى يد حاكم يصرفها كيف يشاء ، ويخرج الأب ليقارع ابنه بالحجة عن مزايا القاضى وسلطات القضاء ولا يفند الابن كلامه وإنما يفضح المسألة بحجج واقعية يرتاح لها الكورس الذى ارتضى التحكيم ، ويفوز الابن فى هذه المعركة وينصح الكورس زميلهم بأن يخلد إلى نصيحة ابنه ، لكنه بعد كل ذلك لا يرضى ، وأخيراً يجد الابن حيلة فيتصالح مع أبيه على أن ينشئ له محكمة خاصة فى ساحة المنزل ، أدواتها من أدوات المنزل ، والمدعون والمتهمون فيها من الخدم وكلاب المنزل ، وفعلاً يقوم القاضى بمحاكمة الكلاب ، وهى ترمز إلى قضايا حقيقية جرت خطأ بأثينا ويتضح من سيرها فساد الحكم ، ومع ذلك فالقاضى على قسوته لا يبرئ البرىء فيعمد الابن إلى حيلة لتبرئة المتهم ، ويقع أبوه مغشياً عليه ، فهذه أول مرة يبرأ فيها شخص فى ساحته .

ويشفق الابن على أبيه ويصلحه ويأخذه معه فى المساء ليقضى سهرة حمراء فى مجالس الشراب (سيمبوسيون) كى يرتفع إلى درجة عظماء المدينة ، وبرغم تجديد

ملابسه وإظهاره فى شكل متحضر ، فإن القاضى بعد أن شرب وسكر قلب الدنيا رأساً على عقب ، وسرق الغانية وغازلها على طريقته القديمة الخشنة ، وبطح رجلا فى الطريق وقلب عجين الخابز ، وزال وقاره المصطنع كما ذابت شخصيته المتكلفة فى ليلة واحدة . . . وظل طول الليل يرقص ويصر على إقامة الرقص بعد منتصف الليل ، ويأتى إلى ساحة الدار معلمو الرقص الأثينى والعجوز يتحداهم برقصاته القديمة وتستمر الرقصة على لون من الشعر الذى يمتزج بين الأسى الإنسانى والبهجة والانطلاق حتى يقع الشيخ :

هذه الرقصة الأخيرة التى تمزج بين التراجيدى والكوميدى لها طعم ورعشة تعترى البدن وتكثف مضمون الحياة فى الإدراك والإحساس بالوجود . وقد استخدمها فى عصرنا الأديب اليونانى كازانزكيس فى قصة زورباس . . . حيث أكد فيها جلال الفشل فى الصراع الآدمى ضد القدر .

* * *

٨ ـ السلام : (ربيع سنة ٤٢١ ق . م)

فى صيف سنة ٤٢٢ ق . م كانت الحرب على أشدها بين أثينا وإسبرطة خارج المدينتين فى أرض حلفائهما على عادة الحروب الانتقامية التى بدأت من سنة ٤٣٢ ق . م واستمرت آخذة فى الاشتداد إلى درجة الوحشية والجنون وذبح الأهالى — وفى أغسطس من هذا العام خرج كليون من أثينا ليواجه غريمه براسيداس (بطل إسبرطة) لأول مرة وجهاً لوجه . . . وتقابلا فى أمفبوليس ودارت الدائرة على جيش أثينا فهزم ، لكن الذى حدث فى هذه المعركة أن كليون الأثينى وبراسيداس الإسبرطى قتلا فى المعركة ، وبهذا بقيت الأحزاب الداعية للحرب فى كلا البلدين بدون رأس ، ومن هنا تنفست الأحزاب المحبة للسلام وتحركت فى كل من أثينا وإسبرطة نحو الصلح والسلام :

ففى أثينا صعد للحكم بعد كليون شيخ من عقلاء المدينة يدعى نكياس وهو بحكم بيئته وديع يحب السلام ، فهو من المزارعين أصحاب الأراضى . . . وقد كان فى إمكانه أن يصنع من رجال البحر حزباً قوياً يدعو إلى السلام لكن حزبه غير الحزب الجمهورى يشترط فى عضويته والانتساب إليه الأصل والحسب والنسب . . .

هذه وحدها نقطة الضعف فى نيكياس ، والذى يهمنا فى هذا البحث هو انتماء الشاعر أريستوفان إلى هذه الطائفة طائفة،المزارعين أصحاب الأراضى ، فبصعود نكياس إلى الحكم ترتاح نفس أريستوفان ويشعر بأن هذه أيامه هو .

لذلك نرى حزب نيكياس يسعى للصلح فى خريف سنة ٤٢٢ ق . م ولا يفوز به إلا ربيع سنة ٤٢١ ق . م وفى نفس الفترة نجد أريستوفان يعد أجمل مسرحية كتبت فى تحبيب السلام إلى قلوب الشعب ، ويقدمها فى أعياد ديونيس سنة ٤٢١ ق . م (أى قبيل تحقيق الهدنة وعقد صلح نكياس فى بيع سنة ٤٢١ ق . م.) وكان للمسرحية أثرها فى شعب أثينا الذى اقترح هدنة لمدة خمسين عاماً : فهل هذا ممكن بين أثينا وإسبرطة بالذات . . . ؟

وكانت الشروط أن ترد كل من المدينتين إلى الأخرى ما استولت عليه من جزر وموان ومدن وأسرى .

وفرح الشعبان فى أثينا وإسبرطة كما فرح الناس فى أكثر مدن اليونان لولا مشاغبات نؤجل ذكرها إلى ما بعد عرض مسرحية السلام . . .

تمتاز هذه المسرحية عن غيرها بأنها تأكيد لدعوة السلام التى بدأ بها أريستوفان حياته الفنية وعبر عنها فى مسرحية أخارنيس ، ثم إنها دعوة إلى السلام العام بين جميع أرجاء الأ ض الهلينية (الإغريقية) لا بين أثينا وإسبرطة وحدهما .

ثم إن مفهوم السلام هنا معتمد على المضمون الدينى لعبادة ربة السلام ، وهى ربة تعبدها كل شعوب اليونان بحكم الدين ، وتماثيلها دائماً فى الأسواق ، فالناس يتبركون بها من أجل زيادة الربح والثمر ، وهى تظهر فى صورة سيدة تحمل طفلها على يسارها من جهة قلبها والطفل اسمه الغنى أو المال وفى يسارها عصا الخير والثبات وأحياناً عنقود عنب فهى أيضاً ربة الكرم وأحياناً تحمل مشعلا .

فالسلام على هذا المفهوم فى رأس كل إغريقى قديم ، سلام محلى دينى بين شعوب الإغريق الذين يدينون بآلهة الأوليمب وليس ذلك السلام العالمى مع البرابرة أو الأعاجم أو الميديين من الشرق فى آسيا والشمال فى أوربا ومن عبدة الكواكب أو النجوم أو النا . مع هؤلاء لا يدعى السلام سلاماً وإنما يدعى شيئاً آخر

كالصلح أو الهدنة أو الاتفاق المؤقت . . . أو المصلحة المتبادلة مع دوام الريبة التى لا يغسلها سلام .

لهذا نرى الكوميدية موجهة إلى (البانهيلينية) الشعب الإغريقى بأسره وليس لأثينا التى ينتمى إليها الشاعر . . . ولهذا نرى الكورس مكوناً من أهل أثينا وإسبرطة وبيوتيا وأرجو وميجارا وغيرهم فى بلاد اليونان .

ولهذا نرى الهجاء فيها مداعبة خفيفة ولمسات غير قاسية على غير عهدنا بأريستوفان والكورس يجمع بين أصحاب المصلحة الحقيقية فى السلام وهم الزراع والعمال وبين الأقلية من تجار الحروب وأصحاب المصلحة فى الحروب ليتم على المسرح تمييز فضل السلام مع فضح معوقات السلام .

بطل الرواية (تريجيوس) فلاح صاحب كروم خسر الجلد والسقط من جراء الحروب ، وكلمة (تريجيوس) من الفعل (تريجو) ومعناها أجنى العنب فالاسم معناه عناب . وشخصيته طيبة بسيطة تعبد الحياة الهادئة وتأسى وتتألم حين ترى الخراب . . وعناب رجل فى الأربعين أصبح فى فقر ولا يجد لبناته خبزاً ، فظل يفكر حتى اهتدى إلى حيلة يحل بها أغلال ربة السلام ويعيدها إلى أثينا ، وكانت قد طردت من أثينا يوم أعلنت الحرب ولم ترض بالصلح مع إسبرطة وما حولها .

راح عناب يبحث عن وسيلة يصل بها إلى السماء عند زيوس رب الأرباب يطلب منه الرأفة بأهل اليونان ، ويهتدى إلى خنفساء كبيرة توصله ، فهذه الحشرة هى وحدها التى تستطيع الوصول ، وسر ذلك نجده فى أساطير إيسوب الحكيم .

ويصل عناب بالخنفساء إلى السماء فيجد الآلهة من غضبها على اليونان وحروبها قد انتقلت بعيداً ولا يبقى إلا هرميس الذى يساعد عناب على تخليص ربة السلام من سجن حرب ، ويعود بها إلى أثينا ويتزوج وصيفتها (أبورا) التى ترمز إلى الرفاء والبنين ، ويهدى وصيفتها الأخرى (ثيوريا) إلى الشعب وهى ترمز إلى المتعة والترف والبهجة .

ويحتفل عناب بزواجه حفلا كبيراً يحضره الزراع والعمال ، عمال السلام وينزوى على المسرح تجار الحروب فى حرمان وأسى مع كثير من اللوعة والندم .

والمسرحية عامرة بالمفارقات ممتلئة بالحماسة والأغانى وتمجيد السلام ، وأريستوفان

لا ينسى ، حتى فى نشوة فرحته ، أن يصفع منافسيه من الشعراء الذين أسفوا إسفافاً فى أشعارهم على المسرح ، وينادى بضرورة الصدق الفنى . . . كما لاينسى غمز غريمه يوروبيد شاعر التراجيديا المجدد ، برغم أنه فى قرارة نفسه يحبه ويقلد أساوبه فى الشعبية .

* * *

. . . والآن لماذا سكت أريستوفان طويلا بعد مسرحية السلام . . . . ؟

وقد عوّدنا أن يقدم كل عام مسرحية ترتبط بأحداث العصر ، وأحياناً يقدم اثنتين فى نفس العام « كما حدث فى سنة ٤٢٣ ق . م » .

سكتة استمرت سبع سنوات (ما بين سنة ٤٢١ ق . م وسنة ٤١٤ ق . م) وبين أيدينا اسم تمثيلية ضاع نصها ولا يستقر الدارسون على تاريخ عرضها وهى :

* * *

٩ ــ الشيخوخة : (ما بين سنة ٤٢١ ، سنة ٤١٤ ق . م ــ وقد ضاع نصها)

وهى كوميديا تصور شيوخ أثينا المتصابين الذين أترفوا وفجروا وراحوا يعبثون فى المدينة بشكل هستيرى .

ماذا دهى أثينا فى تلك الفترة ، أو ماذا حدث للشاعر ؟

بعد تقديم مسرحية السلام بأيام عقدت هدنة بين أثينا وإسبرطة لمدة ٥٠ عاماً ، كما ذكرنا ، وجاءت الوفود الإسبرطية إلى أثينا للتصديق على الصلح والهدنة . . . الوفود متحمسة وشعب أثينا أشد حماساً للهدنة والسلام ، لكن فريقاً من شباب أثينا وعلى رأسهم ألكفياديس ــ وهو من أبناء الأشراف فى أثينا ــ سعوا فى عرقلة الصلح . . . بدأ الأمر عناداً بين ألكفياديس الشاب الطموح المتطلع إلى السلطة وبين نيكياس الشيخ الحاكم . وراح ألكفياديس يتصل بوفد إسبرطة سرًّا ويزعجه بأمور وهمية ، وفى نفس الوقت يثير مجالس الشعب ويؤلب الأحداث حتى فشل الصلح وأهين وفد إسبرطة الذى كان على مستوى الملك فى حسم الصلح ، وبالاختصار نقول إن هذا الوفد غرر به ، فعاد إلى إسبرطة قبل التصديق على الصلح وشروطه ، هذا والهدنة قائمة والجيوش قد توقفت عن القتال فى انتظار . لكن أعمالاً سياسية ودبلوماسية تدور على المسرح فى الخفاء ، فترى ألكفياديس يقفز من حزب نيكياس

إلى الحزب الجمهورى المعارض وهو حزب يعشق الحرب ويتطلع إلى زعامة قوية مثل ألكفياديس. . . ثم نرى ألكفياديس يحرض دولة الأرجوس أن تكون وصية على البلوبونيز كى يغيظ إسبرطة وتشتعل الحرب والحالة غامضة متوترة والمدنة قائمة إلى أن شبت حرب صقلية سنة ٤١٥ ق . م .

فالمعروف أن صقلية بها مدن يونانية متحالفة مع أثينا، وسيراكوزا دويلة دورية تطمع فى الاستيلاء عليها ، وتستنجد هذه المدن بأثينا — وقد كان من الممكن أن تمر هذه الأمور مروراً سلمياً أوعلى الأقل تعتبر مناوشات فى جبهات المدن المتحالفة دون إقحام أثينا و إسبرطة مرة أخرى وجهاً لإعادة حرب الانتقام والتخريب — لكن الغريب أن أصابع ألكفياديس من وراء أكثر هذه الفتن التى حدثت ما بين سنة ٤٢١، سنة ٤١٥ ق . م إلى أن فضحه نيكياس .

وفى ليلة ١١ مايو سنة ٤١٥ ق . م حدث حادث هام بأثينا ، كان الأسطول على أهبة السفر لنجدة المدن المتحالفة فى صقلية ، هذا الحدث لا يتصل هذه المرة بالدبلوماسية ولا بالسياسة ولا بالحرب وإنما هو أعمق من ذلك دلالة وقداسة . . . لقد وجدت تماثيل هرميس فى السوق مهشمة الوجه والأطراف . . . وبقيت المدينة وكأنها أتتها صاعقة ، وتوقف الأسطول والأعمال والفكر عن الحركة . . . ورأى نيكياس لأول مرة فى حياته احتجاجاً على الحكم من نوع جديد ، لكنه أكثر من ذلك ، صفعة للآلهة ودوس للمقدسات .

وانشغلت أثينا فى التحقيق والبحث وحدد كليونيموس مكافأة قدرها ألف درهم لمن يكشف سر هذا الجرم الكبير . . . وأشيعت أسماء كثيرة من بينها أعضاء بمجلس النواب ، وذكر اسم الشاعر فرونيخوس (الشاعر الكوميدى) كما ذكر اسم كريتياس (ابن عم أفلاطون وتلميذ سقراط) ، وأعلنت الأحكام العرفية وعين حاكم عسكرى بالمدينة (ديوقليد) وحبس عدد كبير ، وهرب عدد أكبر ، وخرج من السجن أندوكيديس بوعد أن يقوم بالتجسس على الفاعل الحقيقى لهذه الجريمة وظل الأمر غامضاً إلا عن وجود حركة خفية بأثينا تبث الإرهاب فى النفوس وتعيث فساداً فى المقدسات . . . وأخيراً انحصرت الشبهة فى ألكفياديس ، وكان ألكفياديس قد هرب وبلغه وهو فى خارج أثينا أنه قد حكم عليه بالموت . . . فلم يفزع ولم يقف مكتوف اليدين بل قرر أن يخون وطنه أثينا ، فيذهب لاجئاً إلى إسبرطة ويعاونها على

قتال أثينا . . . وبالرغم من أن ألكفياديس قد فضح سفراء إسبرطة وأهانهم بأثينا قبل سنوات ، كما ذكرنا يوم صلح نيكياس ، إلا أن شخصية خبيثة مثل ألكفياديس تستطيع أن تفعل الشيء وضده فى نفس الوقت . . . وصل إلى إسبرطة وتمكن من أن يكون مواطناً إسبرطياً يعمل فى صفها ضد وطنه أثينا . . . وهنا نعود إلى شاعرنا أريستوفان .

لقد سبق أن رأينا فرحة أريستوفان بالسلام ورضاءه بحزب الأشراف المزارعين الذى يستقر هذه الأعوام فى الحكم وعلى رأسه نيكياس . . . لكننا رأينا أيضاً غريمه ألكفياديس الذى ألب أثينا بعد أن انتمى إلى الحزب الجمهورى المعارض ، ورأينا أى دور يلعبه فى الخفاء من أجل إشعال نار الحرب ، ثم رأينا حركة الإرهاب الخفية التى يقوم بها شباب أثينا المغامر من تهديد شيوخ الشعراء ، وتعذيب الآباء ووطء المقدسات بالأقدام . . . وهذا الشباب ثمرة البلبلة العلمية التى خرجتها مدارس السفسطة والخطابة فى ذلك العصر اليائس المتناقض .

فى هذه الفترة بالذات سكت أريستوفان .

فهل كان مريضاً ؟ (لقد وصف نفسه بالكهولة والصلع سنة ٤٢١ ق . م) فى مسرحية السلام وهو حسب التقدير المرجح فى حوالى الأربعين من عمره :

هل كان خائفاً ؟ (لم نعهده يخاف من قبل ، فلقد واجه كليون حاكم أثينا بشجاعة نادرة وانتصر عليه وثبت أقدام الكوميديا على مسرح أثينا برغم أنفه) .

هل ضاعت ثروته ؟ (لم يحدث بجزيرة إيجينا — حيث توجد مزرعته — تدمير أو تخريب . . .)

هل أثر إرهاب ألكفياديس وحركة الشباب السفسطى الساخط المتهز على فنه كشاعر كوميدى يفضح هذه المدارس وينحى على الشباب وابتذاله ؟ . . كل ذلك جائز لا يرجح ، ولكن الشيء الوحيد الذى أظهر تغيراً ملموساً فى فن أريستوفان فى تلك الفترة أننا نجده يتحول بموضوعه ويصوب أهدافه إلى فئة الشيوخ والعجائز تلك الفئة التى كان من قبل يجاها ويحترمها ويصورها على أنها البقية الباقية من الأصول المحمية ، وكان يدافع عنها ويدفع عنها الشباب وينعى على الأبناء الذين يقتلون آباءهم أو يعذبونهم :

إن أريستوفان فى هذه الفترة وفى هذه السن قد انقلب شاباً لا يرى إلا عيوب الشيوخ ، وكان من قبل شيخاً يرى عيوب الشباب ، أكثر من ذلك نراه يعبث بالآلهة بعد أن كان يداعبها — ويصل فى عبثه فى أخرياتْ أيامه فيجعل المال إله الناس والآلهة أجمعين كما سنرى . . . بل إنه لم يعد يلجأ إلى الآلهة مستعيناً ، وإنما هو فى الجزء الأخير من حياته يلجأ إلى النساء فى حل مشاكل الحرب والسياسة والفن .

وإذا وقفنا قليلا عند استجدائه الجمهور فى البارابايسس من أجل الجائزة ولو على حساب تغيير سياسته الفنية فى الموضوع ، فالفترة فترة سيطرة الشباب الأثينى الجديد على السياسة وعليه أن يساير تيار جمهوره ولا يعانده .

أقول هذا ولا أؤكده ، فالدراسة مفتوحة ، وإنما أقول إن مدارس السفسطة والفلسفة فى القرن الخامس قبل الميلاد بأثينا قد هزت عروش الوثنية وأكدت سلطة الإنسان فى الأرض والتفتت إلى أبعاد أكبر فى اللاهوت وكان من ضحايا هذه المدارس إنكساغوراس الذى طرد من أثينا شر طردة . . . . وغيره مثل سقراط الذى اتهم بالكفر وأعدم . . . ونقتصر الآن على هذه الفقرة التى هاجم فيها شاعرنا شيوخ أثينا وسخر من أفعالهم وفضحهم على الملأ ، ذلك فى المسرحية رقم (٩) والمسرحية رقم (١٠) ومن بعد ذلك فى مسرحيات أخرى كثيرة ضاع بعضها . . .

* * *

١٠ — أمفيراوس : (ضاعت وقد قدمت فى شتاء سنة ٤١٤ ق . م)

وما بقى منها يبين أنها تصور رجلا عجوزاً فضحه عجزه ، فذهب مع زوجته الشابة فى الحج إلى معبد أمفيراوس من أجل تجديد شبابه . . .

* * *

وفى المسرحيتين (٩) ، (١٠) لم يتعرض للأحداث الكبيرة فى السياسة والدين تلك التى هزت الرأى الإغريقى بأسره ، وهذا قد يؤكد وجهة نظرنا فيما سقناه من حجج فى مسايرة الأمور وقت الأزمات . . .

* * *

١١ ــ الطيور: (فى ربيع سنة ٤١٤ ق . م)

(أى بعد شهرين من المسرحية السابقة ، ويبدو فيها الهروب الروحى واضحاً مؤكداً للأحداث بالرمز دون مواجهة أو إلحاح فى التصريح .

والسخرية فيها من كليون الذى مات من زمن بعيد ومن جورجياس السفسطى ومن سقراط ، وهما على رأس معلمى ذلك العصر ، سخرية خفيفة غير مباشرة . . . وقد علمنا منذ قليل أن أسطول أثينا يحارب الآن فى صقلية ضد سيراكوز الدورية التى تحميها إسبرطة ، وأثينا فى حالة أحكام عرفية منذ ديست مقدسات هرميس ، ومنذ هرب ألكفياديس ، فالكلام فى السياسة الآن أو الدعوة إلى السلام تتعرض لكثير من الاضطهاد .

هذه الكوميديا تبدو غير سياسية ولكن مرماها البعيد سياسى دينى يساير تعاليم الشك فى الآلهة بشكل غير مفضوح . . . ثم إن يوروبيد قبل ذلك بقليل قد قدم تراجيديا طروادة . . . وفى مضمونها مسايرة لحملة أثينا فى صقلية واهتمام الشعب بالظفر فيها ، فمن المناسب ألا يترك أريستوفان هذه الفرصة دون أن يشترك بشىء على أسلوبه فى المضمون السياسى الذى يتجاوب مع أغلبية الشعب .

وذلك فى الحدود الكوميدية الضيقة المفروضة عليه فى تلك الفترة ، لكن ذكاء أريستوفان وبعد نظره السياسى فاق يوروبيد بمراحل ، فبينما طروادة يوروبيد تشجع الحملة وتباركها عن طريق الأمجاد التاريخية ، فإن طيور أريستوفان تبين مرارة الواقع وتتنبأ بالنكبة وترى السياسة لا الحرب خلاصاً من الكارثة .

فى هذا العام بالذات حوصرت جيوش أثينا فى صقلية وسمعت صيحات نيكياس من هناك تطلب النجدة . . . وأثينا لا تدرى خاتمة المصيبة .

(موضوع الطيور) :

اثنان من أهل أثينا ضاقا بالحياة وصخبها وسعيا إلى الهدوء والراحة ، فعملا على أن يتحولا طيراً (اعتماداً على أسطورة قديمة مؤداها أن أسرة من البشر تحولت طيراً . . .) وفكر الرجلان بعد أن أصبحا طيراً ، فى إنشاء مدينة جديدة مكانها

ليس فى الأرض ولا فى السماء وإنما تستقر بينهما . . . وبهذا يصبحان سادة البشر من ناحية ، ومن ناحية أخرى يذلون الآلهة فى السماء ، فلا تطغى بل تصبح تحت رحمتها ، فالمعروف أن الآلهة إنما تعيش على ما يقدمه مساكين البشر من قرابين وضحايا .

ولم يكن من العسير على الرجلين أن يقنعا طيور الجو بالمعايشة الجديدة والتحالف معهما على رد الآلهة إلى أصلها كما كانت طيوراً تنزل إلى الأرض تملك البشر وتصدهم عن تعذيب الطيور وذبحها . . . المهم يتم تكوين المدينة وتتسع سلطتها وتأخذ اسم السحاب المجنح رمزاً وترسم لنفسها الشعائر (واللوائح) . وتزلف إليها كثير من الشعراء وبائعو أصوات الانتخابات والمفتشون وما إليهم من طلاب المنافع يريدون الانتماء إلى مدينة الأجنحة ففيها وحدها الخلاص . . . يقدمون لها القرابين من أجل ريش يتجنحون به . . . .

وتبدأ مدينة الطيور بممارسة سلطاتها فتقبض على الآلهة التى تحلق فى جوها الإقليمى ، وتحقق معهم وتسألهم عن جواز المرور . . . وتحتج الآلهة المعتقلة بأنها ترسل رب الأرباب زيوس إلى البشر ، يذكرهم بالقرابين التى طال عليها العهد دون أن تذبح . . . وتعلن مملكة الطير أنها اليوم آلهة البشر ، ولم يعد لآلهة السماء سلطان على البشر بعد اليوم . . . ثم يفرج عنها لتعود إلى زيوس فى السماء وتعلنه بهذا التحدى ، وتحلق الآلهة خائفة متوجسة من هذه المدينة الجديدة وتخبر زيوس بالكارثة . . . فيبرق ويرعد دون جدوى وتتطلع الآلهة من فوق إلى مملكة الطيور فى تلك البقعة الاستراتيجية الخارقة وتتحسر على البشر الملاعين الذين نسوا الآلهة واتجهوا إلى هذه المملكة الجديدة يتقربون إليها بالهدايا الثمينة من أجل ريشة أو ريشتين تمنحانهم الانطلاق والخلاص .

وأخيراً لا ترى آلهة السماء بداً من التفاوض مع هذه المملكة الجديدة ، فترسل أحب الآلهة إلى البشر وهو بروميثيوس متخفياً فيشيع فى مدينة الطيور أن الآلهة قد بلغ بها الجوع والحرمان مبلغاً كبيراً ، فتقبل مدينة الطير مبدأ التفاوض مع الآلهة بشرط أن يتخلى زيوس عن العذراء إيكونوميا (وهى رمز القصد والاعتدال) لتكون زوجة لأمين وهو اسم أحد الرجلين . . . ويرضخ زيوس ويرسل وفد المفاوضة من

الآلهة وعلى رأسهم بوسيدون وتم الهدنة على شرطين هامين :

١ ـــ أن يعيد زيوس الصوبلجان للطيور .

٢ ـــ أن يتم زواج أمين بالعذراء رمز الملك المعتدل .

ويتم الاتفاق وتنتهى الكوميديا بالزواج فى حفل سعيد ، فقد تم التزاوج الرسمى بين البشر والآلهة ، وضمنت مملكة الطير الانطلاق والحرية ولا يمكن أن تلعب بها الآلهة لعبة القدر ، فإن روح الآلهة قد أصبحت فى يد مملكة الطيور .

وتتأزم الأحوال فى صقلية فيدمر أسطول أثينا تدميراً كاملا ، وتغزو إسبرطة أتيكا وتستولى على ديكليا وفى سبتمبر سنة ٤١٣ ق . م يؤسر القائد الأثينى نكياس ومن بعده يؤسر ديموستين القائد الأثينى فى البر ويُعدم الرجلان فى إسبرطة ويشرد ألوف الأثينيين من فاول الجيش وتباد إبادة تامة فى لاتوميا .

وأثينا تترنح تحت ضربات إسبرطة وحلفاؤها يقفزون إلى صفوف إسبرطة . كل ذلك بخيانة ألكفياديس وجنون انتقامه من أهله ووطنه . وتنشط أحلام الفرس فى تحطيم أثينا واستنزاف دم الإغريق ، فيفاوضون إسبرطة ويغدقون عليها الذهب ويجدها الكفياديس الخائن فرصة فينقل ميدانه إلى آسيا الصغرى ليعزز سياسة الفرس وإسبرطة ضد أثينا مسقط رأسه سنة ٤١٢ ق . م .

وتجد أثينا نفسها بلا حول ولا قوة فتستدعى الجنود المرتزقة من تراقيا وتقوى أسوارها واستحكاماتها ، فقد تنبهت للكارثة واليوم يوم دفاع عن آخر أمل فى الحياة .

وتعود سكتة أريستوفان ثلاث سنوات ما بين الطيور سنة ٤١٤ ق . م إلى لبستراتى سنة ٤١١ ق . م . . . فهل كانت هذه السكتة نتيجة حتمية للظروف التى ذكرناها ؟ أم أن الشاعر ينوى النزول من سماء الطيور إلى جو المعركة على أرض صلدة ؟ . . . هذا ما حدث فعلا فقد قدم أريستوفان لوناً جديداً من الواقعية الصارخة فى هذه المرة . . . لم يستنجد بالآلهة ، ولا اعتمد على الحيل ، ولكنه أسقط الرجل كما أسقط الآلهة من حسابه ، وعمد إلى المرأة مؤمناً بأنها ضامنة السلام واليقظة والاتزان وصانعة الأمن والرفاهية .

* * *

١٢ – ليسستراتى : (فى شتاء سنة ٤١١ ق . م – والنص باق بأكمله)

ومعنى هذه الكلمة بالعربية المرأة السائسة واضعة أوزار الحروب التى تحل الجيوش وتسرحها من أجل تصفية الحرب وبدء السلام . . . لا فى أثينا وحدها وإنما فى العالم الإغريقى بأسره .

فتاة يونانية طيبة شريفة نقية الفكر شجاعة بداءة اسمها ليسستراتى غاظتها المذابح والخراب فاعتزمت على تخليص أهل اليونان من شر أنفسهم واستلهمت فكرتين :

١ – تكوين فرقة من النساء تحتل الأكروبول قلعة أثينا حيث يوجد بيت المال فتهيمن عليه وتمنع استخدامه فى الأغراض الحربية .

٢ – إضراب النساء فى جميع أنحاء اليونان عن العشق والهوى والحب والزواج حتى يضع الرجال أوزار الحرب .

وراحت ليسستراتى تدعو نساء أثينا وإسبرطة وطيبة وكورنثة وكل مدن اليونان ويتفقن على فكرتها وينفذن شروطها ، كل فى بلدها ، وتنجح الفكرة برغم تهديد الدولة وغضب الرجال ، وتنتصر النساء انتصاراً حاسماً عندما تأتى وفود الرجال من جميع مدن اليونان إلى أثينا تطلب الهدنة والسلام .

وأريستوفان يشحن المسرحية بتحليل دقيق عميق لهوى الرجل والمرأة ، ويذكر أسراراً تاريخية تكشف عبث الحروب الأهلية ، هذا إلى المفارقات الذكية فى كل بيت من الشعر وفى كل حركة مسرحية . . . وتنزل الكوارث تترى على أثينا ، ويتسرب إليها خبر غريب مؤداه أن ملك إسبرطة قد غضب على ألكفياديس الذى خانه فى زوجته الملكة ويرسل من ورائه فى آسيا الصغرى من يقتله ، وتبادر الملكة فترسل إليه رسولا من لدنها يحذره كى ينفد بجلده . . . ويعرض يوروبيد على مسرح أثينا قصة هيلين التى ترمز من بعيد إلى هذا الحادث . . . وتفكر أثينا فى أزمتها الشديدة ويهمس بعض المسئولين بالعفو عن ألكفياديس واجتذابه فى صف وطنه أثينا فهو الذى أعطى إسبرطة هذه الشوكة التى اخترقت جنب أثينا ، وتجرى تعديلات ومراجعات للقوانين واللوائح والنظم ويفكر الشعب فى الاستغناء عن الجنود

المرتزقة والاعتماد على المواطنين مع غض النظر مؤقتاً عن الأخطاء .

ويكون شاعرنا أريستوفان قد أعد مسرحية (تسموفوريازوسى) أو العرافات اللواتى يحافظن على تقاليد ديمترا وبرسيفونى وديمترا ربة الحرث والزرع والأرض والسلام وهى أحوج ما تحتاج إليه أثينا من آمال فى تلك الفترة المتأزمة ، وفيها معارضة لمسرحية يوروبيد إذ أنها أكثر منها عمقاً وواقعية .

* * *

١٣ — ثسموفوريازوسى: (ربيع سنة ٤١١ ق . م — ونصها كامل)

قال برناردشو فى كتابه المرأة الذكية :

« إنه يعول على المرأة فى إنقاذ البشرية من مستقبل جارف . . »

لم يقل برناردشو جديداً ، فهذه الحقيقة أكدها أريستوفان من قبل برناردشو بأكثر من ألفى عام . . . ثسموفورا رمز لديمترا ربة الأرض والزراعة والخصب التى علمت البشر الزراعة ونقلتهم من العصر القبلى عصر الرحل إلى عصر الاستقرار والتقاليد والحضارة . . . ومع ديمترا ابنتها برسفونى وهى أيضاً ثسموفورا . . . وكلمة (ثسمو) باليونانية يقابلها فى العربية (العرف والتعاليم والتقاليد الموروثة) .

وكلمة (فورا) باليونانية يقابلها فى العربية (حامل أو حفيظ أو أمين أو عراف) . وديمترا وابنتها لهما معبدهما ، ويقام به كل عام عيد كبير لمدة ثلاثة أيام ثانيهما صيام للنساء اللواتى يحملن عبء هذا التقليد ويؤدين شعائر ديمترا ويحتفلن بها وحدهن من دون الرجال ومن دخل المعبد من الرجال كتب عليه الموت . . . هؤلاء النسوة يسمون (ثسموفوريازوسى) أى خليفات ديمترا ومقيمات شعائرها فى الحفاظ على العرف والتقاليد .

كتب أريستوفان هذه المسرحية لمحاكمة غريمه يوروبيد على مسرح الفن فى تهمة خطيرة هى سب النساء فى مسرحياته والحط من شأنهن . . . وأريستوفان بهذه المسرحية يؤكد إيمانه بالمرأة فى حفظ السلام والحضارة ، ويثيرها قضية فنية تحط من كل قوة أمام المرأة حتى ولو كانت قوة التراجيديا وفن الجلال ، وحتى لو كان الشاعر يوروبيد نفسه .

وفى المسرحية مداعبة ليوروبيد تبين عطف أريستوفان عليه وتقديره له برغم غمزه له وإظهاره بصورته الكاريكاتورية المضحكة، وأريستوفان فى سن الخامسة والأربعين . ويوربيد قد جاوز السبعين .

* * *

١٤ - تريفاليس : (ضاعت ولم يبق منها إلا بعض أبيات - عرضت ما بين سنة ٤١١ ، ٤٠٨ ق . م)

وأرجح أن يكون أريستوفان قد كتبها أثناء أزمة ألكفياديس وخيانته لوطنه وكذا ما أشيع عنه من خزى فى إسبرطة مع ملكة إسبرطة ، ولابد أن يتخللها كثير من الردع وكثير من السخرية والتجريح ،فمما لا شك فيه أن أريستوفان يهمه عودة ألكفياديس لإنقاذ البلاد من الكارثة . . . كما أرجح أنه قدمها أوائل الفترة المذكورة أو على الأكثر سنة ٤١٠ ق . م ، وكان لها أثر فى تعجيل الصلح مع ألكفياديس .

* * *

١٥ - ليمنيا : (ضاعت ولم يبق منها إلا بعض أبيات - عرضت ما بين سنة ٤١١ ، ٤٠٨ ق . م)

ويرجح أنها فى أواخر الفترة التى أوجزناها، لأن موضوعها فى الضحك من تقاليد عيد بنديد . . .

* * *

أحداث سنة ٤٠٧ ق . م بأثينا :

اختلت صفوف الفرس وإسبرطة بضربات ألكفياديس المفاجئة المتلاحقة فى آسيا الصغرى وجزر البحر فاتفق ليساندرو قائد إسبرطة مع الفرس على حيلة هى ، أن يرفعوا أجر البحار من ٣ أوبول فى اليوم إلى ٤ أوبول وكانت الأجور على الأسطول الأثينى لا تزيد على ٣ أوبول فتقافز البحارة من السفن الأثينية إلى سفن الأعداء مما يدل على فوضى الحرب فى ذلك العصر وأنها أصبحت صناعة لا أكثر ولا أقل ،

وفعلاً بهذه الحيلة رجحت كفة إسبرطة والبرابرة من جديد ، هذا إلى ما اعترى بعض المسئولين فى أثينا من الفوضى النفسية والغيرة والخوف من سلطان ألكفياديس وانتصاراته ،فأعدم عدد من القادة على أخطاء تافهة وظهرت موجة من المحاكمات والإرهاب . . . وفى هذا العام يتنحى ألكفياديس عندما شاهد فوضى تعدد الرئاسات فى الأسطول والتوجس منه وسحب السلطة من يده . . . فلم يلبث الأسطول الأثينى أن منى بالهزيمة الساحقة .

ومن الظواهر الغريبة فى هذه الفترة ارتفاع أصوات الخطباء والمهرجين فى ساحات أثينا تطالب بمحاكمة الضباط المنتصرين لا لشىء إلا لأنهم انشغلوا بالمعارك عن مراسيم دفن الموتى ، وكانت الأحكام تنزل بالأبرياء عقاباً بالسم ، فهرب كثير من رجالات الجيش وضباطه ليخدموا فى ميادين أخرى غير ميدان وطنهم . وانشغل الجدد بحمل جثث الموتى من الجنود ، ولم يسلم قائد بحرى سليم النية من الإعدام ، لا لشىء إلا لأن الرياح هبت على سفنه العائدة بالجثث ورمت بها إلى البحر وعددها خمس وأربعون سفينة حربية .

هذا يفسر فوضى الأسطول الذى تعب ألكفياديس فى تنظيمه منذ زمن قليل . كما لم يسلم ألكفياديس من إثارة الخطباء للشعب ضده ،فلم يأمن على نفسه من وطنه مرة ثانية . . . وكان حاكم أثينا فى ذلك الوقت كليوفون وقد مزقت الخلافات السياسية روح الوطنية فى الجنود والضباط واستغل المنتهزون ذلك أكبر استغلال ، فنساء حكام أثينا من وراء الرجال يخرجن المال بالربا ، ورجال الحكم يبتزون قوى أثينا ، ولا داعى للتفصيل فى تلك الأحداث التى صورها مؤرخها المعاصر ثوكيديد بأدق وصف .

فماذا فعل أريستوفان فى هذا العام المضطرب ؟

قدم تمثيلية واحدة ضاعت وهى :

١٦ — المشايخ : (ضاع النص — وقدمت سنة ٤٠٧ ق . م) .

ما بقى من أشعارها يدل على أنها كانت من نوع النقد الأدبى فأكثرها تجريح لبعض الشعراء القدامى وتصوير لتصرفاتهم المخزية اليائسة فى أثينا . . . ثم إنها تعتبر إرهاصاً لمسرحية قوية سوف تأتى بعد سنتين وهى الضفادع .

* * *

الأحداث ما بين سنة ٤٠٧ ق . م وسنة ٤٠٥ ق . م :

كنا مع ألكفياديس عندما عاد إلى وطنه أثينا تائباً يريد أن يكفر عن ذنبه ورأينا معه وتحت قيادته رجحان كفة أثينا وعودة سلطانها على البحر تتخذ طريقها لرد هيمنتها على العالم الإغريقى . . . فهى الوحيدة كدولة تستطيع أن تقف المد الفارسى . لكن الذى حدث كما رأينا تنحية ألكفياديس وتبلبل السلطة وانتشار الفوضى فى أثينا فمال ميزان أثينا مرة ثانية ورجحت كفة إسبرطة وزاد أمل الفرس حلفاء إسبرطة وشجعوها بالذهب والعتاد . . . فنرى أسطول أثينا الذى خرج إلى البحر يستمد العون والموارد والمال من جزيرة ميتيلين تحاصره إسبرطة ، ثم نرى موقعة أخرى يستخدم فيها ليساندرو قائد إسبرطة أشد أنواع الدهاء والخداع الحربى فينتظر على أسطول أثينا حتى تنزل بحارته إلى البر فى الجزيرة ثم يباغت السفن الفارغة بالحرق والتحطيم ويرسل المشاة بالليل إلى الجزيرة ينشرون الفزع ويتناولون البحارة بالذبح ، وهرب منهم من هرب إلى أثينا فزادوها مجاعة على مجاعة ومن ورائهم جيش إسبرطة تحت قيادة الملك فى خريف سنة ٤٠٥ ق . م لفرض الحصار الأخير . . . ونزلت الجيوش وتكاثرت يوماً بعد يوم فى البر والبحر تضيق الخناق على أنفاس أثينا ، وتحاول أثينا طلب الصلح فيرد وفدها محسوراً . . . إنها كارثة أثينا وإنها لنهاية هذه الحرب المشئومة . . . ولكن الشعب الأثينى الذى ذاق ألوان المرارة والتخريب والاستغلال من منتهزى الحرب ومشعليها يرى فى هذا الحصار خلاصاً . . . وعملاء إسبرطة فى أثينا يزيدون الحالة يأساً ويخمدون فى الشعب ما بقى من لهب التحمس والإباء ، فسيطر على المدينة ذهول واعترتها انهزامية فلم تعد فى قلبها جذوة موقدة . استعدت المدينة للاستسلام لرحمة إسبرطة . . استعدت للموت .

أما بالنسبة لشاعرنا أريستوفان فإن جزيرته إيجينا (التى ظلت سليمة طوال هذه الفترة المضطربة منذ بدأت حرب البلوبونيز) تأخذ الآن ضربة إسبرطية مفاجئة وتصبح تحت رحمة إسبرطة فبقى الشاعر فى أثينا لا يجرؤ على العودة إلى مزرعته فى الجزيرة وهى على مرأى من عينيه .

لكن حدثاً هاماً فى نظر أريستوفان والمسرح ، والشعب الذى يعبد المسرح ،

قد هز النفس الأثينية من أعماقها ، وطغى على ما حدث من نكبات الحرب ، ذلك هو موت يوروبيد ومن بعده بقليل موت سوفوكل سنة ٤٠٦ ق . م وانهار بذلك المسرح التراجيدى الذى طالما رسم أبعاد الحماسة فى الوجدان الهليني وحلق بالشعب إلى آفاق المآسى وصراع القدر وكان عزاء وكان هدى وكان مدرسة كبيرة وبرلماناً للوجدان الديموقراطى .

ولم تشغل ويلات الحروب شعب أثينا عن شعرائه فانقسم الناس : منهم من ينتصر لأسخيل ومنهم من ينتصر لسوفوكل ومنهم من ينتصر ليوربيد ، حتى على السفينة الحربية الواحدة وفى الأسواق والبرلمان .

وكان أريستوفان قد أعد مسرحية (الفينيق) يعارض بها مسرحية لأستاذه يوروبيد بهذا الاسم ، ولكن وفاة يوروبيد جعلته يؤجل عرض الفينيق ويكتب مسرحية الضفادع بالغة الروعة فى النقد والموازنة وعرضها بعد وفاة الشاعر بأشهر قليلة (فى أعياد لينيا شتاء سنة ٤٠٥ ق . م) ليحسم بها الموقف بين إسخيل ويوروبيد ، وكان فيها شفاء لنفس الأثينيين ، واعتبر هذا من المسرح الكوميدي تحية إنصاف ورثاء للمسرح التراجيدي .

* * *

١٧ — الضفادع : (بقى نصها كاملا وخدمتها الدراسات أكثر من غيرها لدسامتها فى النقد وغناها بالعمل التراجيدى فاعتبرت سجلا ووثيقة عن إسخيل ويوروبيد)

إن حب أريستوفان ليوروبيد وتقديره لفنه لاينكر برغم ما كان يسوقه أريستوفان من مداعبة وهجاء وغمز واتهام لشعر يوروبيد أكثر من غيره .

فأريستوفان تلميذ بالرغم عنه ليوروبيد ، تنفس بأنفاسه وسار على نهجه فى استخدام الأسلوب الشعبى القح ، حتى اتهمه أكثر النقاد بأنه يوروبيدىّ الأسلوب لكن لوناً من الحقد ووغرة الصدر نتيجة التنافس فى الحقل الدرامى لا يمكن إنكاره أيضاً . . . أما إسخيل صاحب فن الجلال والعظمة والبطولات التى تذكر بأمجاد الماراثون وسالاميس فى تلك الفترة الانهزامية بالذات فإنها تميل بميزان الذوق إلى إسخيل ، فهو رمز التعويض للحرمان الأثينى فى عصر الكارثة . . . حتى جمهور

يوروبيد نفسه الذى عبد فنه وتعشق مسرحه ، كان على غير وعى منه يحن إلى أقباس إسخيل ، فإن أقوى ما يحبه الإنسان ساعة الاحتضار نسمة من أنسام الحياة والعافية وأجل مايتمناه الإنسان ساعة الانهزام ومضة من ومضات النصر والأمل .

لذلك كان أريستوفان لبقاً فى تفضيل إسخيل على يوروبيد فكانت منه بلاغة فنية على مقتضى الحال والذوق فى ذلك العصر ، مع حسم للخصام . . .

ولا يحسن أن نطيل الحديث عن الضفادع فقد كفانا مؤونة البحث عنها أساتذة أفاضل شقوا للمسرح الهلينى طريقه على المسرح العربى فاتزن بذلك طريق مسرحنا المنهجى وساير الحركة المسرحية العالمية ليحتل مكانه بينها علمياً فنياً بالتسلسل التاريخى المنهجى ، أولهم الأستاذ توفيق الحكيم بكتابه براكساغورا ثم الدكتور لويس عوض والأستاذ كمال عيد بمسرحية الضفادع التى نالت حظاً لا بأس به من النقد والتعليق وتنبيه الأذهان مع بشائر من البحوث والرسائل الجادة .

وأكتفى هنا بأن أشير إلى منهج أريستوفان فى الضفادع ونقيق الشعر والشعراء الذى ملأ جو أثينا ، ثم إلى صياغة الكوميديا على صورة النقد الأدبى والفنى نرى الشاعر يرسل ديونيس إله التراجيدى إلى عالم العدم والخلود — وهى طريقة سبقت أريستوفان فيها أساطير هيلينية وفرعونية ثم لحقه فى نهجها آخرون مثل أبو العلاء فى رسالة الغفران ومن بعده دانتى فى الكوميديا — وهى طريقة اشتهرت فى عالم النقد .

ويبحث ديونيس عن إسخيل ويوروبيد ، ويقيم الموازنة بين الشاعرين ويختار إسخيل بعد تحكيم مقنع طويل ، شق مناهج كثيرة لنقاد العصر وما بعد العصر حتى لحق حركة العرب فى العصر العباسى ،عصر الترجمة عن الإغريقية وغيرها وأثر بعض الشىء فى مشكلة اللفظ والمعنى والجمال والجلال والامتلاء والفراغ والدرامية والغنائية والموازنة والطبقات والإنصاف والوساطة وما إليها من فنون النقد وتصنيف الشعر والشعراء . . . ولقد وفق الدكتور لويس عوض أكبر التوفيق فى جعل هذه الكوميديا العويصة فى متناول الجماهير العريضة ، وهذا أجل ما نصبو إليه فى هذه الآونة من الاشتراكية الثقافية دون جناية على الأدب الإنسانى ، فإن خط الحياة فى مسرحية الضفادع كما قدمها لويس عوض لم يعتوره ما يهدد ، وبدن كوميديا الضفادع كما أخرجه كمال عيد لم يكن ناقص الأعضاء والأطراف أما ما أخذه بعض النقاد

الدارسين من خروج أو نقص فإنهم معذورون إذا ما كانت صرخاتهم فى النقد تعنى العمل الأكاديمى والصناعة الفيلولوجية وحدها .

لكن المسرح له مبدأ آخر وهو فن المعايشة والمعاصرة بالعملة الحاضرة فالمسرح يعتمد على سرعة البديهة ، والحركة المسرحية والحوار المسرحى لا يتحمل بأى حال أن نضع شيئاً بين قوسين ، أو ندفع فيه بحاشية أو نرد إلى مرجع . . . هذه كلمة أقولها لوجه الحق والفن .

إذ ما ذنب المتفرج إذا ما شغلنا ذهنه بالأوبول والتالنت بدلا من القرش والجنيه وهذا المثل يصدق على كثير من ظروف المسرحيات القديمة .

* * *

١٨ — الفينيق : (ضاع النص وبقيت إشارات قليلة) .

عرفنا أن مسرحية الفينيق مكتوبة قبل مسرحية الضفادع لكنها عرضت بعدها لظروف طرأت وهى موت يوروبيد . فسرحية الفينيق معارضة لمسرحية بنفس الاسم كتبها يوروبيد ، وتتبع سلسلة المعارضات الفنية والنقد الفنى التى نهجها أريستوفان لغمز منافسه يوربيد ومداعبته على عهدنا بذلك فى كل مسرحية كتبها أريستوفان .

ولا شك أن أريستوفان قد عدل من لهجتها واحترم الموت فى شخص يوروبيد ؛ ولسوء الحظ ضاعت هذه المسرحية أيضاً ففقدنا بفقدها كثيراً من ملامح الرجلين .

* * *

ويسكت التاريخ عن أريستوفان سكتة أخرى تطول إلى عشر سنوات وأكثر قليلا مع أن شاعرنا لا يزال فى حوالى الخمسين من عمره وقد فرَغ له المسرح الأثينى بموت سوفوكل ويوروبيد فما سر ذلك ؟

نحاول تشريح تلك الفترة دون أن نضع فى حسابنا المسرحيات المفقودة التى سنفرغ لها حديثاً آخر الدراسة .

* * *

١٩ – النائبات : (سنة ٣٩٢ ق . م – بقى النص كاملا)
أى أنها عرضت بعد الضفادع والفينيق بنحو اثنى عشر عاماً فكيف مرت أثينا بهذه الفترة . . . ؟

* * *

اشتد الحصار على أثينا براً وبحراً وطلبت أثينا الصلح فأهين وفدها ، وأصرت إسبرطة ومن وراءها بلاد اليونان والفرس على التسليم وهدم أسوار أثينا والخضوع التام لما تقرره إسبرطة . . . وقبلت أثينا . لكن إسبرطة رأت عدم إذلال أثينا وإخماد أنفاسها ، وإنما الإبقاء على رمق فيها يعيد إليها الحياة فى الوقت المناسب ، فإن إسبرطة برغم شدة عدائها لأثينا وبرغم ما يوغر صدرها من ذكريات الانتقام والثأر ، ما زالت تتوجس من الفرس شراً ، فقد ازدادت عطاياهم وتدفق ذهبهم على إسبرطة وحلفائها وثقلت الالتزامات الأدبية والمادية من جانب إسبرطة تجاه الفرس وها هم (الفرس) ينقسمون على أنفسهم ويريد كيروس أخو ملك الفرس أن ينقض على أخيه ويغتصب عرش فارس وقد طلب فعلا من إسبرطة وجنود اليونان أن يستعدوا لحملة إغريقية فى آسيا تنتزع له العرش من أخيه ، وتقوم الحملة وتفشل ويشرد جنود اليونان فى آسيا ، ومن بينهم فرقة عليها كسنوفون تلميذ سقراط وبجانبه عدد ممن شردته أثينا بعد إعدام سقراط (قضية سقراط فى أبريل سنة ٣٩٩ ق . م وإعدامه فى مايو من نفس العام وتهمته إفساد الشباب وعدم الاعتراف بالآلهة ... » فقد نفى كسنوفون كما نفى أفلاطون ، وطورد عدد كبير من الإغريق فى كل بلد ، وهاموا على وجوههم ومنهم عدد كبير أقام بمصر فى تلك الآونة . ثم نرى بعد موت كيروس سنة ٤٠١ ق . م وموت ملك إسبرطة سنة ٣٩٩ ق . م نرى ملك الفرس ينقلب على إسبرطة ويجند لقتالها أعداءها من اليونانيين الإغريق أنفسهم ، ويعد أسطولاً فارسياً يجعل عليه كونون الأثينى الطريد ، وترفض أثينا وطيبة الاشتراك فى الحرب ضد إسبرطة . . . لكن لا تلبث البلدان أن تعلنها صريحة سنة ٣٩٥ ق . م ضد إسبرطة التى طغت بحكمها العسكرى أشد طغيان وعاثت فى المدن والجزر فساداً ، حتى كورنثيه حليفة إسبرطة وجارتها تنضم إلى أثينا وطيبة وتقفز إلى صفوفهم تيساليا وأرجوس ولاريسا ، وتجد إسبرطة نفسها وحيدة فجأة : الفرس من الشرق واليونان بأسرها من حولها وتدافع عن نفسها مستميتة .

كما تجد أثينا نفسها فجأة تعود إلى استرداد أنفاسها ، وكسب حلفائها ومستعمراتها فتعيد بناء أسوارها ، وتصبح إسبرطة فى الميزان من جديد بعد أن هيمنت على الإغريق ، وأكدت سلطانها فى آسيا والبحر المتوسط زمناً ليس بالقصير من سنة ٤٠٥ ق . م ولمدة عشر سنوات. . .على أن أثينا برغم ارتداد أنفاسها وعودة الكثير من قوتها لم تعد إلى مستواها الأول فى الهيمنة على البحر والجزر والمدن الإغريقية كما كانت أواسط القرن الخامس قبل الميلاد ولن تعود .

أما الحالة الداخلية فى أثينا منذ أذلتها إسبرطة وألزمتها قبول التسليم وهدم الأسوار فى ٢٥من أبريل سنة ٤٠٤ ق . م فقد جعلت أثينا تشعر بالمهانة وتبكى الأمجاد ، خاصة بعد أن رضخت لأوامر إسبرطة فى قبول حكم الطغاة الثلاثين ، وهم من أغنياء أثينا أذناب إسبرطة المنتفعين المستغلين الحاكمين فى قسوة وعسف اعتماداً على السند الإسبرطى برغم أن من بينهم شخصيات مثل كريتياس قريب أفلاطون وتلميذ سقراط وكان على درجة عظيمة من العلم والشعر ، لكن العداء الحزبى دائماً يعمى الأبصار وينحرف بالقلوب عن الصواب ، فانقلب وحشاً خائناً للشعب .

نرى أثينا من سنة ٤٠٤ ق . م تعيش فى جو الإرهاب ، فيلغى البرلمان وتهدم الأسوار وجيش إسبرطة يحتل الأكروبول (قلعة أثينا) ، وثلة أخرى هناك فى بيريه ميناء أثينا ، والطغاة الثلاثون وعلى رأسهم ليكوفون يملأون المحاكم كل صباح ومساء بالمتهمين لمجرد الظنة ، وقد حبس كثير وأعدم أكثر ونفى وهرب عدد كبير وقصر شعب أثينا على ثلاثة آلاف — واشتغلت نساء الطغاة بالربا علناً وبدت كل القيم الأثينية مقلوبة رأساً على عقب .

وكان من بين المنفيين والهاربين ثراسيفلوس القائد الأثينى المقدام ، فكوّن جيشاً من المضطهدين الأثينيين وجمع شملهم وقواهم ، وفى فبراير سنة ٤٠٣ ق . م أزاح الطغاة واستولى على أثينا وحارب الإسبرطيين فى يونية من نفس العام ودارت مباحثات جديدة للصلح تركزت فى الإفراج عن المعتقلين وقبول زوال حكم الطغاة وإبقاء الحكم الشعبى مع خروج كل جندى إسبرطى من ثكنات أثينا — وفى ٢١من سبتمبر سنة ٤٠٣ ق . م أعلنت الديموقراطية فى أثينا من جديد وأخذ هذا الحكم الديموقراطى يجرى إصلاحات فى المدينة عامة والقانون لخاصة وتفرغت أثينا للإصلاح الداخلى

بينما انشغلت إسبرطة بمشاكل جديدة مع الفرس ، وتمر الأعوام بطيئة ويعدم سقراط كما ذكرنا بحكم للأغلبية الحاقدة حسب تعديلات القانون الجديد ، ويترك باب سجنه مفتوحاً للخروج من المدينة إذا لم يعجبه حكم المحكمة ، ولكن سقراط يكلل لهذا العصر الأثيني مجده الأخير ، فيشرب السم انصياعاً لقوانين المدينة التى بقوتها ولد وعاش حراً وتزوج وأنجب وعلم ، والهرب من هذه القوانين الحرة خيانة للوطن ولا تحسب حياة المواطن خارج الوطن حياة وإنما يحسب الموت داخل الوطن أو من أجل الوطن أعظم حياة .

وخلال هذه التنظيمات كانت الحالة النفسية للمدينة غير مستقرة ، كل يخشى جاره فالسنوات العشر من سنة ٤٠٤ ق . م إلى سنة ٣٩٤ ق . م عهد توجس وخوف وصمت منذ بدأ الطغاة ومنذ تمت تعديلات الحكم الديموقراطى وأثناء التعديلات والتنظيمات الجديدة بالنزول على رأى الأغلبية وسيطرت على هذه الفترة موجة الظنة والذعر ، ولم يزل هذا إلى أن انفجرت أثينا ثانية بالاستعداد للحرب من جديد ، فنراها تتعاون مع المصريين سنة ٣٩٤ ق . م لرد قبرص التى كانت تشكل خطراً وتقوم جسراً للفرس ضد البلدين . . . وفى الحرب دائماً انطلاق يزيل غمام الظنة والخوف من سماء أثينا ويطلق إرادة الشعب ويفتح الآفاق من أجل صراع جديد . . .

فماذا يفعل أريستوفان وقد رأى المدينة تعود من جديد إلى بذل طاقاتها وتفريغ مدخراتها للحروب الخارجية منساقة بروح الطمع الموروث (فى كسب مستعمرات جديدة ومدن حليفة) وشوق إلى الهيمنة على العالم الإغريقى بغية فرض السلطان .

إننا نلاحظ أن أريستوفان فى الفترة الأخيرة من حياته يعدم الثقة فى الرجال ويؤمن بالمرأة كما رأينا فى مسرحية ليسستراتى وثسموفوريازوسى وهاهو الآن سنة ٣٩٢ ق . م يؤكد ذلك بمسرحية النائبات .

وكما اقترح أفلاطون مدينته الفاضلة ، رأى أريستوفان نوعاً من الاشتراكية تحكمه النساء ، فالبطلة براكسفورا (وفى معنى اسمها ما يقابل فى العربية السياسة العملية الواقعية) امرأة حكيمة شجاعة تتميز بقوة الإرادة . . . تلحظ مأساة الرجال الذين لا هم لهم إلا العمل من أجل الموت ولا سلعة لهم إلا الدماء ، فلا تأسى ولا تقف مكتوفة اليدين وإنما تتفق مع الأثينيات أن يسرقن ملابس الرجال فى ليلة

من الليالى ويحضرن بملابس الرجال لاحتلال مجلس الشعب وانتزاع السلطة وإنقاذ المدينة .

والمعروف أن النواب فى المجلس كانوا لا يتقاضون أجراً قبل ذلك الزمان . فكان كل عضو يأخذ معه زاده من خبز وبصل وجبن وزيتون وقربة من النبيذ لكن براكساغورا رأت أن يتقاضى النساء أجراً ، فتزاحم بهن مجلس الشعب كما حدث فى عهد كليون . وتم الاستيلاء وأعلنت الاشتراكية فى المال والخيرات بحيث لا يكون بالمدينة بؤس أو غنى فاضح ، ولم يجد الرجال بداً من الاستسلام إلى قرارات نسائهم وبقوا عرايا فى منازلهم لا يجرءون على الخروج . . . ثم أعلن الإفراج عن الرجال . . فردت ملابس الرجال للرجال وارتدت النساء ملابس النساء ، وتحكمن فى بيت المال بالأكروبول لا يخرج منه قرش إلا للدفاع عن المدينة أما الخروج لحروب طامعة فلا . . . ثم اصطدمت النساء بمشكلة الحب والعشق فأصدرن قراراً غريباً فى اشتراكية الحب ، إذ فرضن على الرجال أن من يطالب العذراء الجميلة عليه أولا أن يمر بالعجوز والدميمة ، ثم رأين أنه من العدل أن يطبق هذا أيضاً على النساء . . والأرض يزرعها الرجال . والملابس يخيطها النساء ولا محاكم ولا سجون . . . فلم يعد بالمدينة لصوص . . . وتحولت المحاكم والرواقات إلى مراكز للهوولاطعام والشراب .

وكان فلبروس زوج براكسا فخوراً بحكم زوجته ويختال فى مشيته إلى جانبها بوصفها حاكمة المدينة . . . وتدعو براكساغورا شعب أثينا إلى وليمة عامة وبعد الطعام والشراب تعلن قوانينها ومن بينها التأميم عن طواعية وأريحية فيقوم أفراد الشعب كل يحمل أمواله ، فى شبه موكب مضحك حين يأتى الشيخ خريمى وهو يحمل حصيرة ويفردها فى الساحة وبها قدرة من الفخار ، وكوز وبعض الثياب المهلهلة والأسمال مع قليل من الترمس والشعير . . . وبعض الأغنياء مكشرون يخفون أموالهم ولا يعرضون للتأميم إلا دراهم معدودة .

ثم يكون منظر آخر فى ختام المسرحية لشاب أهوته فتاة كاعب بجمالها الخلاب ودفئها الأخاذ وهى تقف فى نافذة بيتها تطل فى براءة وتختفى فى خجل ، ومن أمامها فى الشباك المقابل عجوز شمطاء تغرى الفتى بما ملكت من صناعة العشق والغرام وتذكره بقانون المدينة ، ويحتار الشاب فى أمره حين يسمع العذراء تهدد منافستها

العجوز بأنها لو غلبتها فى حب الشاب فسوف ينتهى الأمر بأن تمتلىء أثينا بأوديب .. ويشتد النقاش ويضيع غرام الفتى هباء ، فيتوجه إلى الجمهور متوسلا باكياً وهو يقول :

« إننى أموت شهيد هذا القانون وأرجو كل رجائى أن تدفنونى فى هذا الجانب (مشيراً إلى جانب الفتاة) ... » وتنتهى المسرحية على هذا ، وقد استطاع أريستوفان أن يجعل الشعب الأثينى يضحك من نفسه ويكشف عن حقيقته المرة : وتبقى أفكار أريستوفان راسخة فى وجدان الشعب وقد خطت فيه أبعاداً جديدة لفهم الحياة .

* * *

٢٠ – المال : (سنة ٣٨٨ ق . م – وقد بقى نصها كاملا . . .)

ويسكت التاريخ كذلك هذه المرة عن أريستوفان أربع سنوات ليظهر على المسرح الكوميدى بمسرحية (بلوتوس) إله المال . . . فكيف مرت بأثينا هذه السنوات الأربع ؟

تسير أثينا فى سياستها الحربية تحت حكم الديموقراطيين تريد استرداد عظمتها وأموالها فى البحر وتطارد غريمها الأثينى كونون الطامع فى حكمها فتسير وراءه حتى جزيرة قبرص عازمة على إخماد أنفاسه بها ، ويتخلل ذلك مناوشات ومحالفات ثم قتال بين أثينا وإسبرطة إلى أن يقتل ثراسيفولوس معيد الديموقراطية لأثينا وطارد الطغاة منها سنة ٤٠٤ ق . م كما يتخلل ذلك جذب وتنافر بين إسبرطة والفرس من جانب وبين إسبرطة والمدن الهيلينية فى اليونان من جانب آخر ، وإسبرطة على عنفها المعهود وضيق أفقها السياسى المعروف ، لم تكسب فى فترة هيمنتها على اليونان وآسيا الصغرى ما بين سنة ٤٠٤ وسنة ٣٨٨ ق . م إلا ضياع صفوة أبنائها وإراقة دم شبابها حتى انخفض عددها إلى النصف وسنرى بعد ذلك أنها ستتلاشى قبل بزوغ الميلاد . . . أما أثينا فتبقى زمناً أطول .

فماذا يصنع شاعرنا فى آخر مسرحية له على المسرح الكوميدى بأثينا وهى مسرحية المال (ولنا رأى فى أنها آخر عمل له على المسرح سنورده آخر الدراسة) .

واضح أن التطور الدرامى عند أريستوفان ، أنه بدأ فى شبابه بالاستنجاد بآلهة

الأوليمب كما ظهر فى السلام ومن قبلها أخارنيس ، ثم اعتمد على الإنسان نفسه فجعله يملك الأرض والسماء كما ظهر فى مسرحية الطيور ، ثم فقد ثقته بسياسة الرجال فلجأ إلى بطولة النساء كما ظهر فى النائبات وما قبلها . . . هذا التطور تركز أخريات أيامه فى المال عصب الحياة الدنيا والآخرة كما صوره أعظم تصوير فى مسرحية المال .

وبهذا ترك لنا أريستوفان عصارة صراعه الفنى والفلسفى مجسدة فى المال . . . والمال الأعمى . . . وهذا يقابل القدر الأعمى فى التراجيديات . . . لكن أريستوفان لا يترك المال أعمى فى مسرحيته بل يعالجه ويفتح عينيه ويبصره بطريقة ويسيره مسيرة كريمة تخدم الخير لا الشر ويجعل منه إله الآلهة والناس أجمعين .

فالمال عندما يكون أعمى يصبح عبداً للمصائب والمظالم والشرور من إقطاع واستغلال وكذب وخيانة وخبث وجحود .

والمسرحية قد خططها أريستوفان على شخصية الشيخ خريمى الصالح الفقير الذى كان أول من رضى بالتأميم فى مسرحية النائبات وجاء بثروته فى حصير وأفرغ ما بها من ثيابه المهلهلة وأوانيه المحطمة يضعها كلها فى خدمة المجتمع .

والشيخ خريملوس مزارع أثينى طيب شريف يعشق العمل لكنه فقير دبت الشيخوخة فى بدنه دون قلبه وهو الآن يحمل هم وحيده ويخشى على ابنه هذا أن يستمر فى حياة الأسرة العاملة الشريفة لا يؤجر على عمله وشرفه إلا الفقر والحرمان . . . ويرى من واجبه كأب أن يبحث لابنه عن الحظ . . . وفعلاً يحج إلى معبد دلف فتنصحه الكهنة أن يتمسك بأول رجل يقابله فى الطريق ويؤويه فى بيته . . . ويخرج خريملو من المعبد فيصطدم بشيخ أعمى يخفى اسمه وشخصيته فيأخذه معه إلى بيته الريفى ويولم له وليمة وقد عرف أنه إله المال وأنه من يوم أن أعماه زيوس رب الأرباب قد أصبح رهينة فى يد الأشرار . ويقر قرار خريملو أن يعالج رب المال ويرد له بصره حتى يسير مع الأبرار ويترك الأشرار . . . وتسمع بهذا العزم ربة الفاقة والحرمان فيجن جنونها وتخرج إلى الناس مشعثة الشعر مهلهلة الأسمال تهدد وترعد وتبرق وتذكر فضل الفقر والحرمان على العمل وعلى الاختراع والإبداع ، لكن حججها تضيع هباء، ويعالج إله المال ويبصر ، وعندما أبصر ، ندم على ما فعل ، وسار مع الأخيار

العاملين والفلاحين وأغناهم فعبدوه من دون الآلهة أجمعين ، ونسوا قرابينهم وضحاياهم للآلهة الأخرى فاضطرت الآلهة المحرومة من القرابين أن تسير مع هؤلاء فى موكب المال الذى أصبح رب الأرباب والناس . . . وانزوى الأشرار والمستغلون من الأغنياء القدامى الذين سببوا الحرمان لكثرة من الناس فزادوا بذلك اتجاه الفقراء إلى الآلهة وراحوا هم يكدسون الثروات ينفقونها فى الشر .

إنهم الآن وقد شخص إليهم المال مفتوح العين ينزوون وينهجون فى الحياة نهجاً جديداً عن طريق العمل الصالح والأجر الشريف .

هذا المضمون من أريستوفان واقعى صارخ لفلسفة الحياة التى تعتمد على الإيمان والعمل الصالح . . . وهى أجدر مسرحية لأريستوفان تستحق العرض والدراسة من جانب جمهورنا العامل لفهم الأبعاد فى فلسفة الحياة . . . أما حواشيها وجذورها الكوميدية ففيها إنسانية أعمق من مسرحية السلام، ذلك فى وقار التفكير ونضجه مع هدوء الفن وبساطته كآخر ما كتب فنان سوته الخبرة وأنضجته التجارب فأعطى آخر ثمرة وفى مكنونها آخر حكمة له ، وآخر سر . . . لمفتاح الحياة السعيدة . فى مثلث يشبه مثلث فيثاغوراس وأفلاطون وغيرهما من الفلاسفة فى مفهوم السعادة البشرية .

* * *

العشرون مسرحية التى قدمناها — كما فصلنا — منها إحدى عشرة بقيت كاملة بفضل أدباء الإسكندرية وحركة النسخ والحفظ فى مكتباتها القديمة ، وثمان حظيت بالإشارة مع حفظ بعض مقتطفاتها . . . فيكون المفقود من مسرحيات أريستوفان أربعاً وعشرين منها اثنتان قدمهما أراروس بن أريستوفان وهما كوكالوس وإيلوسيكون . . ومنها أربع أجمع الدارسون على أنها دخيلة على شعر أريستوفان وهى : الشعر ، الغريق ، الجزر ، نيوبى .

ثم هناك أخيراً ثمانى عشرة لم يبق إلا أسماء عشر منها وهى :

العارف بكل شىء ، أحداث كينتاورو ، طواف ، مشاهد ، فى سبيل

الكفاح ، البجع ، ساعات ، تلميس ، المترئسون . . . وسنحاول أن نستشف منها بعض الملامح التى تساعدنا فى استكمال فن أريستوفان .

* * *

٢١ — كوكالوس : (ربيع سنة ٣٨٨ ق . م — لم يبق منها شىء . . .)

قدمها أراروس بن أريستوفان فى نفس العام الذى وطئ فيه أبوه المسرح لآخر مرة فى حياته . . . ولم يترك الدارسون المعاصرون لأريستوفان والعصر البطلمى إلا إشارة خفيفة عن هذه المسرحية وموضوعها خداع فتاة عذراء .

وكلمة (كوكالوس) اسم لأول ملك هلينى فى صقلية استولى على تلك الجزيرة وأباد سكانها من المخلوقات ذوات العين المتوسطة فى الجبهة .

وحاول إنشاء الحضارة والعمارة فى الجزيرة واستدعى الفنان ديدالوس من كريت وأبقاه بقصره ، فخطط كاميكون العاصمة للملك وبنى له حصناً كبيراً وملأ البيت والمعابد بفنونه وعشقته بنات الملك لكثرة هداياه الفنية لهن ،وجاء مينوا ملك كريت بأسطوله يطالب ملك صقلية برد ديدالوس فاستقبله ملك صقلية بكل ترحاب لكن البنات توجسن شراً فأغرقن ملك كريت فى الحمام وقامت الحرب بين كريت وصقلية . . . وأساطير كثيرة تتضارب عن ديدالوس هذا وبنات ملك صقلية .

وقد يكون أراروس بن أريستوفان قد استمد من هذه التسمية الأسطورية سنداً يبنى عليه مسرحيته فى خداع الفتاة . . .

ومن قبل أراروس نجد صوفوكل شاعر التراجيديا قد كتب بدوره — ساتيرا عن هذه الأسطورة تحت اسم كاميكون عاصمة صقلية أيام كوكالوس . . .

وقيل إن أريستوفان كتبها بنفسه ثم كلف ابنه بتعليمها وإخراجها حتى يعرف به المجتمع الأثينى قبل موته فيضمن ثبات ابنه على المسرح وهنا يبدو أنها لم تكن من تأليف أريستوفان ولكنها محاولة من الابن ولعب فيها قلم أريستوفان بالتصحيح والتعديل،وهذا الرأى تؤيده حجج بديهية بسيطة : أولاها أن أريستوفان فى جميع مسرحياته لم يتخذ من الحالات الفردية للناس موضوعاً وإنما عمد إلى الطوائف

والقطاعات الكبيرة والمبادئ العامة والمشاكل العظمى كما رأينا فى أخارنيس والفرسان والسلام والدبابير . . . إلخ . . . والحجة الثانية أن موضوع خداع فتاة لم يكن لينزل إليه ولم نر له شبيهاً فى أعماله المسرحية وهو الذى نادى أكثر من مرة بأنه لا يسف بشعره إلى الغلمان والعشق الفردى وما إلى ذلك مما سلك الشعراء فى عصره .

والحجة الثالثة أن أريستوفان قد تجاوز السبعين عندما كتبت هذه المسرحية فكيف يتأتى لشاعر ينتج مسرحية المال وفيها من الحكمة والفلسفة والعلم والاقتصاد وخبرات المجتمع فى وظيفة المال أن يكتب فى نفس العام عن قصة فتاة خدعها شاب .

والحجة الرابعة أنها بدون كورس بينما كل مسرحيات أريستوفان بها كورس ...

ونحن لا نخالف الدارسين فى هذا الرأى اعتباطا وإنما سقنا هذه الحجج للدرس والنقد .

* * *

٢٢ – إيلوسيكون : (سنة ٣٨٥ ق . م – ضاع نصها)

وهذه أيضاً قدمها أراروس بن أريستوفان تحت عين أبيه، وكلامنا فيها مثل كلامنا فى المسرحية السابقة . فهى المحاولة الثانية للابن وتناولها الأب بالتعديل . . .

وموضوع هذه المسرحية كما ذكر الدارسون يدور حول السخرية من بعض الشعراء المعاصرين . . . أما التسمية فنستشف منها معنى « التين الفاسد » فكلمة (إيلو) ولو أنها دلالة أسطورية تاريخية عن قبائل ومواطن قديمة إلا أن معانيها المجازية التسوس والعفن والفساد ، ثم كلمة سيكون ولو أنها مكتوبة بالياء فإنها تعطى معنى التين لأول وهلة حين الاستماع ، ذلك لأن هذه المسميات كانت تؤدى على المسرح شفهيًّا ولا تقرأ ، وبهذا تعطى المعنى الصوتى القريب فى التورية وتخفى التحفظ والاحتياط فى المرمى الثانى للكلمة .

ومن هذه المسرحية نرى أراروس يحاول ويتحرر من منهج أبيه فى الموضوع والشكل ، فهو يستغنى عن الكورس تماماً ، لكنه فى إحدى المسرحيات نقد لحياة

اجتماعية وفى الأخرى نقد الشعراء المعاصرين والسخرية منهم وكأن هذا لازم لفن الكوميديا فى تلك الفترة غير أن أريستوفان كان الكوميدى السياسى الأول بين كتاب الكوميديا جميعاً .

* * *

٢٣ — الشعر أو الحلق :
٢٤ — الغريق :
٢٥ — الجزر :
٢٦ — نيوبى :

أجمع الدارسون على الشك فى هذه المسرحيات من حيث نسبتها لأريستوفان ولذلك نسكت عن الجدل والخوض فيها مؤقتاً . . .

* * *

٢٧ — بوليبيدوس : ومن معانيها : الرجل الذى رأى كثيراً فى حياته .

* * *

٢٨ — أناجيروس : ومن معانيها : حول كل شىء .

* * *

٢٩ — بروأغونوس : ومن معانيها : فى سبيل الجهاد أو إلى الكفاح .

* * *

٣٠ — بلارجون : ومعناها : البجع .

* * *

٣١ — هودون : ومن معانيها : أحداث الساعات أو الأوقات .

* * *

٣٢ — تلميسيون : شىء يتعلق بكهنة تلميس .

٣٣ — كنتاورو : وهو (اسم الرجل الأسطورى ، نصفه إنسان ونصفه حصان) ويرمز إلى فرسان ثيساليا ، وأسطورتهم مشهورة فى جميع بلاد الإغريق ، ويمكن الرجوع إليها فى المراجع .

أما اهتمام أريستوفان بهذه التسمية حسب أحداث عصره فقد تكون منه إشارة إلى حكم الفرسان بهذه المقاطعة الشهيرة بقوة فرسانها الذين لعبوا دوراً كبيراً فى حياة اليونان .

* * *

٣٤ ــ المترئسون : تعدد الرئاسات وقد تكون إشارة إلى ما حدث من فوضى الرياسة فى الأسطول أيام ألكفياديس وكانت سبباً فى الكارثة .

* * *

٣٥ ــ مشاهد : من الأعياد .

* * *

٣٦ ــ بنات داناوس : (وهى آخر ما نعرفه للآن عن أريستوفان ولها علاقة بمصر) .

وهنا يمكن أن نقف وقفة أطول لطرافة الموضوع وارتباطه بمصر وتاريخ العلاقة الروحية بين مصر والبحر المتوسط . . . فإن المراجع اليونانية وخاصة القديم منها تذكر فى صراحة وتقدير صلة الإغريق بمصر من زمن بعيد وخاصة السكان الأصليين قبل الموجات البشرية التى اكتسحت بقاع اليونان وجزرها وطردت منها أهلها أو استبعدتهم كما فعل الدوريون ، وقد سبق أن ألمحنا باسم كادموس وككربس والجدل حول اسميهما كآباء رمزيين أو روحيين أو طبيعيين للإغريق قد نزحوا من مصر . . . ثم هنالك أساطير أخرى تؤكد الصلة منها « داناوس » وبنات داناوس وسنتحدث عنها بعد قليل . أما المراجع المصرية القديمة فشديدة الحذر فى ذكر هذه العلاقة وأول ما يظهر من أثر للإغريق أو (حاونبو) أى أهل البحر ، نراه فى الأسرة السادسة وما بعدها من أسر الفراعنة حيث ظهر منهم فى بلاط فرعون غلمان وملاحون وأجراء أتوا إلى مصر رغباً وطمعاً فى حضارتها وغناها ، فقد كانت مصر مشرق الحضارة قبل أن يتفتح أول بصيص من نور الحضارة الإغريقية وذلك بألوف السنين والأعوام .

وتحت عنوان أحلاف مصر فى صراعها ضد الهكسوس (من كتاب مصر والشرق الأدنى القديم « ج ٢ ص ١٠ » للدكتور نجيب ميخائيل) نجد لوحة حجرية عثر

عليها أمام الصرح الثانى بالكرنك (الخورنق فليس فى الفرعونية القديمة كلمة كرنك وإنما هى تسمية عربية محرفة . . .) خلد عليها (أماسيس) أعماله ، ومن بينها فقرة على جانب كبير من الأهمية إذ يأمر الملك بتقديس أمه الملكة (عاح حوتبه) وألقابها سيدة المصريين وأميرة فيالق الحاونبو (سكان جزر البحر المتوسط وخاصة كريت) فاسمها يسطع فى كل البلاد الأجنبية وهى تقود الشعوب . زوجة ملك وأخت ملك وأم ملك . . . العظيمة العالمة التى تسهر على شئون المصريين . . . ورأى بعض المؤرخين أنها من أصل كريتى .

ولا يهمنا أصلها إن كانت مصرية أو من كريت وإنما تهمنا الإشارة إلى الصلة، فالمعروف أن حضارة كريت قبس من الحضارة المصرية وظهرت بعدها بأكثر من ألف عام ، وكانت جسر الانتقال الحضارى من مصر إلى أنحاء أوربا القديمة فى بطء شديد ، وبمرور مئات وألوف السنين . . . هذه اللوحة يعود تاريخها إلى أواسط القرن ١٦ قبل الميلاد أى قبل حروب طروادة بحوالى أربعة قرون . .

ولقد كان طرد الهكسوس بالنسبة للمصريين حافزاً لهم على تكوين الإمبراطوريات فى عهد :

— تحوتمس الثالث (من سنة ١٥٠٤ ق . م إلى سنة ١٤٥٠ ق . م) أول إمبراطورية فى العالم القديم . . . وظلت إلى عهد إخناتون .

— إخناتون (بعد هذا التاريخ) أول شيوع دينى عالمى يجعل الشمس إلهاً عالمياً بدلا من آمون الإله المحلى . . .

— رمسيس الثانى (قبل حروب طروادة بقرن — وحرب طروادة سنة ١١٢٤ ق . م) والتوسع بالإمبراطورية المصرية حتى شملت العالم القديم كله .

وكان لهذا التكوين الإمبراطورى خيره الكثير وشره الكثير ، غير أنه كان من أسرع العوامل فى المزج الحضارى بين البشرية، وخلق التنافس القوى بين دول آسيا القديمة (بابل وأشور والميدين والفرس وغيرهم) وبين التيارات البشرية الجديدة التى كانت تنزل كالسيول فوق ربوع أوربا القديمة تملأ اليونان وإيطاليا وشواطئ فرنسا والأندلس — ثم الغليان البشرى والصراع الجماعى الذى استمر من بعد طروادة

بين أوربا وآسيا وأفريقيا . . . وكان من بعد وبالا على مصر ذاتها فبعد أن كان كل هؤلاء يتزلفون ويدفعون الجزية فى عهود مثل عهدى تحوتمس ورمسيس دخلوا بين ثنايا الشعب وامتزجوا بالدماء الفرعونية وظهر الأجانب بشكل واضح فى السياسة والجيش والتجارة ثم كانت لهم مدن وإقطاعيات مستقلة فى الصعيد والدلتا كمدينة نقراش (ناوكراتيس سنة ٧٤٩ ق . م) وجزيرة الفيلة . . . ولم تسلم مصر بعد الهكسوس من خطر آشور والفرس والإغريق والرومان والأتراك والفرنسيين والإنجليز حتى ردها جمال آخيرا فى سنة ١٩٥٢ إلى عهد أحمس بعد أن خاصها من أوشاب السنين فى أعوام قليلة .

هذه العجالة قد تكون خطوة لفهم أسطورة (داناوس) وتقرع بالحجة العلمية الدامغة قول الذين ينادون بأن مصر لم تعش طول حياتها إلا داخل حدودها . . . فمن مصر لم يخرج المحاربون وحدهم لإنشاء الإمبراطوريات اضطراراً لتأمين الوادى وقطع خط الرجعة على هكسوس آخرين ، ولكن قبل الجيوش خرج كهنة وأمراء وعلماء وصناع جالوا فى البحر المتوسط وشواطئ آسيا الصغرى وبابل والنوبة والصومال والحبشة . . . وهناك نشروا علومهم التى سبقت العالم القديم بألوف السنين ، وكان أكثر هؤلاء المهاجرين من مصر أو المنفيين أو الهاربين منها من رجال الدين الذين أتقنوا علوم الكهنوت والفلك وأصل الكون والكمياء والزراعة فتركوا أقباسا بكريت وصقلية وقبرص ومن هناك إلى جميع بلاد اليونان وآسيا والجنوب الإفريقى.

وقصة داناوس فى المراجع الإغريقية تؤكد ذلك ، وتصبح مادة للمسرح الأثينى فى أوج عظمته، فى القرن الخامس قبل الميلاد ، فقبل أريستوفان كتب إسخيل (أبو التراجيديا اليونانية) مسرحيات أيتكيد ودانابيد وأميمونى . وكلها تدور حول أسطورة داناوس .

والآن يمكننا ذكر ما بقى عن هذه الأسطورة :

« مصر » (المذكر ، فإن كلمة مصر المؤنثة ترجمتها مصر الجغرافية) ملك على مصر التى اتسمت باسمه ، وأخوه داناوس كاهن مملكته . . . حدث بين

الأخوين خلاف جعل داناوس يهرب بأسرته إلى جزيرة رودس بالبحر المتوسط وهناك أقام بيتاً (يذكرنا ببيت إبراهيم فى مكة) يعلم الناس الحضارة وصلاح الأمور بما لديه من علم ومعرفة وكهنوت وطب وتلتف حوله الأفئدة ويتسامع الناس به فى الجزر والقرى فيأخذون على يديه البركة والشفاء والهدى ، ويذيع صيته وتكبر بناته وقد بلغن الخمسين عداً من أمهات ترمز إلى أسماء مدن ومعالم فى بلاد الإغريق وآسيا . . . ويسمع مصر بأخبار أخيه ويحن إلى مصالحته ،وكان لمصر خمسون ولدا من أمهات كثيرات لهن رموز خاصة ،ويرسل مصر أبناءه محملين بالهدايا إلى عمهم ليتزوجوا ببناته . . . (ثم تختلف هنا موارد الأسطورة وتتفرع فروعاً شتى لا يتفق فيها الباحثون والمفسرون على رأى . .) وإيجازاً للحديث نختار خبراً منها .

يفرح داناوس بأبناء أخيه ويقيم لهم حفلا كبيراً ويبين لهم أنه موافق على الزواج . غير أنه ككاهن يتنبأ بأن من بينهم واحداً ينوى قتله ، ويسر بذلك إلى بناته ويعطى كلا منهن خنجراً تقتل به زوجها ، ويقسم بنات داناوس على ذلك ويقمن بما وعدن إلا واحدة تبقى على زوجها ، وتكون الصجوة فينتقم الأمير الحى من بنات عمه يقتلهن جميعاً ، ثم يتصالح مع عمه على أن يذهب بزوجته بنت عمه إلى الشمال فى بلاد اليونان حيث يقيم مملكة فى أرجوس (أصبحت دويلة من دويلات الإغريق التى كان لها شأن كبير فى حرب طروادة) فيصلحان أرضها القفر ويعلمان الناس الزراعة ويقيمان حضارة ومملكة عريقة .

أما بنات داناوس فعندما ذهبن بعد موتهن إلى التارتار (عالم الأرض السفلى) كتب عليهن عقاب آخر ، هو أن يظللن إلى الأبد يحملن الجرار يملأنها ويفرغنها فى زلعة كبيرة ليس لها قاع وظلت الأسطورة إلى اليوم مثلا فى اليونان يقابل عندنا (النفخ فى قربة مقطوعة) .

هذه هى الأسطورة ولا يهمنا تفسير المفسرين وخاصة المحدثين من أن هذه الأسطورة رمز للسيول التى تجرى فى مصر فى بعض المواسم ثم تجف . . . وما إلى ذلك من تفسيرات تشطح بالموضوع بعيداً ، وإنما يهمنا ذلك الجانب من الأسطورة الذى بقى فى خلد اليونانيين إلى الآن منذ عصر هسيود وإيسوب على معناها التاريخى فإن هسيود معاصر هومير (القرن الثامن قبل الميلاد) كان أول من دوّن علم أنساب

الآلهة وتكوين الشعب الإغريقي ، وعصره كما رأينا متأخر جداً بالنسبة لنضج هذه العلوم الكهنوتية في مصر التي سبقته بكتاب الموتى والأساطير والطقوس والزراعة والفنون قبل الملك مينا بآلاف السنين وأرسلت من علومها أقباساً استنار بها هسيورد أخيراً جداً ومن بعده من الدارسين الذين وفدوا على مصر ينهلون من علومها، كما رأينا منذ الأسرة السادسة الفرعونية وما قبلها .

هذه لمحة تضيء الصلة بين مصر القديمة وفضلها على جاراتها في الشرق والغرب والشمال والجنوب وتفتح باباً لذخيرة خصبة في العمل المسرحي الذي يهتم باللذة التاريخية إلى جانب لذة السفر البعيد بين الأرجاء الغامضة في تاريخنا العريق ودورنا في نشر الحضارة الإنسانية مع ربط ذلك بمسئولية موقفنا الآن في صنع التاريخ وصراعنا من أجل تعميق حرية الإنسان .

* * *

بقيت كلمة في أريستوفان الذي كتب كما قيل أربعاً وأربعين ملهاة ذكرنا منها ستاً وثلاثين وبقيت ثمان غامضة تمام الغموض . . . وأريستوفان عادة كان يقدم كل عام مسرحية ونادرا يقدم اثنتين في العام الواحد .

والراجح أن تكون المسرحيات التي لم يحدد تاريخ عرضها قد عرضت في ثنايا الأعوام التي سكت فيها التاريخ عن أريستوفان . . . أما أن يبقى من أريستوفان ربع إنتاجه فهذا نسبياً شيء كثير بالقياس إلى ما ضاع من آخرين يعاصرونه من العلماء والخطباء والفلاسفة وهو شيء كثير جداً جداً إذا ما قيس بما بقي من المسرحيات الكوميدية قبل أريستوفان وبعده

فإن أثينا بعد أن هزمتها إسبرطة واجهت كثيراً من الفوضى ولم تعد إلى سابق مجدها وهيمنتها على العالم الإغريقي وإنما ورثتها إسبرطة زمنا في الهيمنة العسكرية ثم ضاعت إسبرطة بدورها لتحل محلها طيبة في الهيمنة على العالم الإغريقي ثم ظهرت بعد ذلك دولة فتية يقودها بطل فذ هو الإسكندر المقدوني الذي لم تقف هيمنته وعظمته على توحيد الدول الإغريقية فحسب، وإنما طرد الفرس وغزاهم وسيطر على العالم القديم في أوربا وآسيا وإفريقيا، وأهم ما يهمنا الآن في هذا البحث أنه بنى الإسكندرية

التى أصبحت بحق عاصمة العالم فى تلك الفترة ومناراً للعلم والمعرفة إذ أنها لم ترث أثينا فحسب وإنما كانت أعظم بوتقة انصهرت فيها حضارات العالم القديم من بابلية ومصرية وفارسية وإغريقية وخرجت على الناس بنور من الحضارة الإنسانية تامة النضج غزيرة المادة .

وفى الإسكندرية كانت لمسرحيات أريستوفان الصدارة وعلو الكعب إذ أقبل عليها المصريون إقبالا عظيما ، ولاقت من الدراسات والنقد والتقدير ما لم تظفر به حين مثلت على مسارح أثينا .

وكان الفضل حقاً للإسكندرية البطلمية فى حفظ ما وصل إلينا من تراث أريستوفان .

فإن كان أريستوفان يعود اليوم إلى مسارح مصر بعد ألفين من السنين فإنما يبعث من جديد فى أرض أحبته وعرفت قيمة فنه وحفظته للأجيال البعيدة مخلداً ، فلقد عرف عن ذوق هذه المدينة أنها تميز بين الغث والسمين ، وتحفظ الدرر ولا تقيم وزنا لكل فن مسف ، فبالرغم من أن ميناندرو كان منافساً لأريستوفان وكتب بالإسكندرية أكثر من مائة كوميديا فإنه ذهب إلى عالم المجهول كما ذهب غيره ممن لم يستووا على منزلة أريستوفان .

* * *

مصر من خلال نصوص أريستوفان

- الأساطير لم تكن وحدها الشيء المعروف عن مصر في بلاد الإغريق .
- ذكر مسميات مصرية في مسرحيات أريستوفان .

من قصة داناوس التي أوردناها نشعر بوجود علاقة روحية متينة بين مصر واليونان في عصر أريستوفان ، يؤكد هذا الشعور ما نراه من إشارات كثيرة في مسرحياته التي بقيت إلى الآن ، ولو أتيح لنا أن نعثر على ما بقي من تراث أريستوفان لوجدنا أكثر ، إذ لا تكاد تخلو مسرحية من الإحدى عشرة من إشارة تدل على مدى العلم والألفة بمصر والمصريين ، وقد يقال إن حضارة مصر القديمة كانت كالشمس يدرك نورها الإغريق وغير الإغريق هذا صحيح ، لكن إشارات أريستوفان من حيث نوعيتها ودقة مساربها تدل دلالة واضحة على أن الجمهور الأثيني كان على علم كبير بدقائق الحياة في مصر فمنها إشارات أسطورية وإشارات حضارية وإشارات علمية وفنية يكتفي فيها أريستوفان بالتلميح لاطمئنانه إلى أن جمهوره يعرف الكثير عن جو هذا التلميح .

هذا في حد ذاته سؤال للبحث ، يجدر بأبنائنا أن يتناولوه ، وما يزال ميدانه خصباً كل الخصوبة ومراجعه تزداد يوماً بعد يوم بزيادة الكشف العلمي في التاريخ المصري القديم .

وهذا يؤكد ما قلناه من قبل من أن المدن اليونانية في مصر القديمة كنقراش Ναυκρατυς وغيرها كانت جسوراً حية تنقل الحضارة المصرية نقلا إلى البحر الأبيض شرقه وغربه ، كما أن هذا يرجح قول سويداس Suidas وهو عمدة في التأريخ ، من أن لأريستوفان أصولا في مدينة نقراش أو كانوب أو غيرهما من مدن مصر التي سبقت بمعابدها وبعض مبانيها المسرحية عمارة أثينا ولها أثر ملحوظ في ازدهار العصر الذهبي الأثيني في القرن الخامس قبل الميلاد .

وسنورد هنا أمثلة قليلة من إشارات وردت في نصوص أريستوفان عن مصر تاركين أمثلة كثيرة سوف نشفع بها كل مسرحية على حدة أثناء ترجمتها وتحليلها بالتفصيل .

ففي مسرحية Ιππῆς الفرسان نعثر على نبات غريب يشبه القرنبيط له شوشة حمراء يطلق عليه أحياناً (عرف الديك) وهو نوع من الخضر فيه غاز كالبصل والثوم وتجود زراعته بشمال مصر وليبيا وقد كان لليونانيين ولع به فاستوردوه وراجت تجارته في عهد كليون (أيام أريستوفان) وسد فراغاً كبيراً في أزمات الطعام التي

اعترت أثينا أيام حروب البلوبونيز الماحقة علاوة على أنه كان رخيصاً، اسم النبات فى نص أريستوفان سلفيو ΣίλΦιο وهو اسم قديم قد يكون باللغة المصرية القديمة .

أما كيف جعل أريستوفان منه صورة كوميدية فقريب مما يضع كتابنا الآن عن البصل والفجل والكرات وأثرها الغازى فى المعدة وفتح الشهية، لكن أريستوفان — على عهده — يربط المعنى بالفساد السياسى فى عصر كليون حين خفض سعر السلفيو ليربح من جانب ويشعل قضاته غضباً وحرارة مزاج فى المحاكم ضد أعدائه .

وفى مسرحية الطيور يهجو أريستوفان شخصية أثينية مشهورة تدعى ليكورجوس، فيصورها على شكل الليلق أو أبى قردان الطائر المصرى الشهير الذى كان مقدساً عند المصريين تحت اسم أبيس IBIS إله الحكمة أوما يقابل هرميس عند اليونانيين، فسيقان ليكورجوس طويلة دقيقة سمراء وطيرانه ووقفاته تعطى الصورة كل ما أراده أريستوفان من شكل ومظهر ومخبر لليكورجوس .

وفى صدد بناء مدينة الطيور يشير أريستوفان بكل إجلال إلى عظمة البناء المصرى ومهندسيه .

وفى مسرحية تسموفوريازوسى (القائمات على العرف والتقاليد فى خدمة ديمترا) نجد أريستوفان وهو يعارض نده يوروبيد فى مسرحية (إيلين) التى ذكر فيها رواية تستحق النظر عن زيارة مانيلاوس لكانوب وجزيرة فاروس بحثاً عن زوجته (إيلين) التى اختطفها باريس وكان ذلك سبباً فى حروب طروادة الشهيرة فى التاريخ والأساطير فى الألف الثانى قبل الميلاد .

يذكر أريستوفان مسميات مصرية لها عراقة فى الأساطير كاسم بروتيوس والنيل يصوره فى الوادى بأروع صورة فيقول :

« هنا مسايل النيل تخطر عليها عرائسه العذبة تستغنى عن الغيث والمطر ، وتروى الأرض البيضاء التى يمرح فوقها الشعب الأسمر » .

وفى مسرحية المال وهى آخر مسرحية قدمها كما ذكرنا يشير أريستوفان إلى فضل المال فى دعم الصداقة والحلف بين مصر وأثينا . . . وهذا ثابت فى التاريخ

المصرى نجده بتوسع فى كتاب مصر والشرق الأدنى للدكتور نجيب ميخائيل أستاذ التاريخ المصرى القديم بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية .

* * *

وفى مسرحية السلام يشير إلى نوع المكاييل المصرية ونبات السلامكة الذى طالما استخدمه الشعب المصرى فى تطهير الجهاز الهضمى كل أسبوع .

هذا وإشارات أخرى كثيرة نشاهدها فى مسرحيات أريستوفان تؤكد وجهة النظر التى أشرنا إليها والتى نصحنا بها ونحن فى صدد الإعداد لفهم نصوص أريستوفان ولا يستغنى عنها الدارس بأية حال . . . لذلك رأيت — إتماماً للفائدة — أن أضيف ثبتاً تاريخياً مبسطاً يربط العلاقات الزمنية بين مصر واليونان بصفة عامة وبين مصر وأثينا أيام أريستوفان بصفة خاصة ، حتى تتم صورة البحث بوصفه بحثاً يمهد لفهم أريستوفان .

ثبت بتأريخ العلاقة والمعاصرة بين مصر واليونان

جدول معاصرة منذ الزحف الجليدى الرابع

سنة ٢٥٠٠٠ ق . م

راجع مصر والشرق الأدنى للدكتور نجيب ميخائيل

مصر

— من سنة ٢٥٠٠٠ ق . م. إلى سنة ١٥٨٦٠ أقيمت قرى على ضفاف النيل واستقر الناس للزراعة .

— من سنة ١٥٨٦٠ ق . م حكم الآلهة الستة .

— من سنة ١٣٠٠٠ ق . م حكم الإله بتاح وهو عند الإغريق (البركان ، هيفاستوس) لمدة ٩٠٠٠ سنة استقرت فيها نظم الزراعة والتجارة وبلغت المعابد شأوا بعيداً فى الفلك والكيمياء فرصدوا الشعرى مع الشمس وعرفوا المواقيت والفصول وقسموا السنة ٣٦٠ يوماً وخمسة نسيئاً ووضعوا أصول كتاب الموتى واتخذوا رمزاً للكتابة الهيروغليفية كل ذلك إلى سنة ٤٢٤٠ ق . م ومن سنة ٤٠٠٠ ق . م حكم أنصاف الآلهة أتباع حور بن إيزيس وأزوريس وظهر الطابع السياسى والحربى بوضوح فى سبيل توحيد المدن والمقاطعات وطفرت العلوم ، والفنون طفرة كبيرة ثم نضجت حضارة الوجه القبلى وحضارة الوجه البحرى وأخذت عنها الشعوب المجاورة شيئاً كثيراً نشرته فى بلاد عديدة

اليونان

— بدأت اليونان بعد ذلك بآلاف السنين تسلك نظم مصر فى الأساطير فبدأت بعصر آلهة الأوليمب ثم بعصر البطولات ثم ملوك البشر الذين ينتمون إلى هؤلاء . .

— سنة ١٠٠٠٠ ق . م بدء الإقامة فى اليونان وجزرها من عهد البلاسجيين ثم كريت واليونيين والدوريين وبين قبائل تزيح بعضها البعض وتنتشر فى آسيا وأفريقيا وتعود ، وقد وصلت فى البحر إلى شواطئ الهند وإنجلترا ومع تلك العصور تكونت الأساطير الإغريقية .

— سنة ٧٠٠٠ ق . م بزوغ شىء فى مدن كريت وحضارة ككروبيس المصرى الذى نهض بكريت على النهج الفرعونى. ومن سنة ٥٠٠٠ ق . م العصر الحجرى فى كريت .

— سنة ٣٠٠٠ ق . م العصر النحاسى بكريت وحضارة المينويين ولهم صلة وثيقة بمصر .

— سنة ١٧٠٠ ق . م ازدهار حضارة كنوسوس بكريت وكانت جسراً بين مصر وأوربا .

مصر

وفى سنة ٣١٩٧ ق.م بدأ توحيد الوجهين على يد مينا وبهذا يبدأ حكم البشر من أول الأسرات الفرعونية التى تبدأ بالملك مينا . ثم بناء الأهرامات وتطور الحضارة المصرية ، وازدياد قرب الشعوب المجاورة من مصر .

— سنة ١٧٨٥ ق . م طمع جيران مصر فيها واحتلال الهكسوس لها مدة قرنين من الزمان .

— سنة ١٥٨٠ ق . م طرد الهكسوس ، وخروج جيش مصر لتأمين ما وراء الحدود المصرية ، وإقامة أول إمبراطورية فى التاريخ على يد تحوتمس الثالث .

— سنة ١٠١٠ ق . م ملوك الكهنة وانحلال

— سنة ٥٩٠ ق . م حكم الليبيين . . . .

— سنة ٧٣٠ ق . م تحرير مصر ثم العهد الصاوى .

— سنة ٧٢٠ ق . م حكم الأثيوبيين . . .

— سنة ٦٦٣ ق . م تحرير مصر وعهد بسماتيك . . . .

اليونان

— سنة ٥٢٥ ق . م احتلال الفرس . . .

— سنة ١٧٠٠ ق . م ازدهار حضارة كنوسوس بكريت وكانت جسراً بين مصر وأوربا .

— سنة ١١٢٤ ق . م حروب طروادة بين ملوك الإغريق وملوك آسيا الصغرى وأكثرهم إغريق .

سنة ١١٠٠ ق. م عصر الحديد والحضارة الميكينية أو (الميسينية . . .)

فى الأسرة السادسة الفرعونية ظهر خدم من الإغريق فى بلاط فرعون — ومن قبل ذلك سمح لأهل (حاونبو البحر) وهم الإغريق بأن يقيموا فى سايس بالوجه البحرى حيث عبدت الآلهة أثينا . . .

— من سنة ١٥٠٠ ق . م بعد طرد الهكسوس غليان بشرى بآسيا واليونان فأبيدت قبائل وهربت قبائل واشتدت هجرات الإغريق إلى سواحل مصر الشمالية وتكونت قرى وتجمعات إغريقية

— سنة ١٠٠٠ ق . م خدمة بعض اليونانيين لإله منف وعين شمس وطيبة وكذا تزاوج فى البلاط من أجنبيات . . .

— ملكات فرعونيات لهن علاقة القرابة بالإغريق . . .

— مدن للإغريق بمصر أهمها نقراش وبيلوز . . .

ملحوظة : هناك مرجع يونانى أشرنا إليه يقول إن أصل أوريستوفان من بلدة نقراش المصرية وقد كان بها مسرح وملعب قبل بناء المسرح الأثينى بأكثر من قرن من الزمان .

مصر	اليونان
– سنة ٣٣٢ ق . م احتلال الإغريق . – سنة ٣٠ ق . م احتلال الرومان . . . – سنة ٦٤٠ ق . م دخول العرب	– سنة ٧٠٠ ق . م تقريبا . التجمعات الإغريقية بعد مساعدة بسماتيك تصبح لها مدن رسمية وامتيازات وحضارة انعكست من بعد على أثينا وكورنثة وقبرص ، ورودس وكريت وغيرها .
	– اشتد الاختلاط بين الإغريق والمصريين – ٣٠ ق . م عودة الصراع بين الفرس والرومان حتى حسمها العرب الذين ورثوا الحضارتين معا فى الشرق والغرب جميعاً . . .

الصلة بين مصر واليونان فى عصر أريستوفان

ملخص ثبت تأريخى

عصر أريستوفان

وصلة الإغريق بمصر

الجميل أن مصر لم تتدخل أو تتعاون فى الحرب الأهلية التى دارت قرنين من الزمان بين أثينا وإسبرطة والدويلات اليونانية ، وإنما كانت اليونان كلها كشعب واحد صديقة فيها كثير من القربى والألفة التى تحمل خير القربى وشرها جميعاً ، وكان عدد اليونانيين المقيمين بمصر فى نقراش ومنف وطيبة وغيرها من المدن المصرية إلى جانب من اشترك منهم فى جيوشها متطوعين أو مرتزقة عدداً كبيراً بالغ الأهمية فى المعابد والتجارة والعلم والبحر وذلك كما عرفنا من قبل إنشاء الإسكندرية بزمن بعيد . وهذه الصلة منذ آلاف السنين هى التى خلقت حركة النقل الحضارى من مصر إلى ما حولها كما كانت السبب فى دخول الهكسوس والفرس إلى مصر ، كما كانت القاعدة الراسخة التى نشأ عليها العصر الذهبى فى أثينا والقوة الحربية فى إسبرطة وكريت وصقلية وقبرص وأخيراً كانت المادة الخام والأساس المتين للإسكندرية والبطالمة . . الذين نقلوا العصر الأثينى الذهبى بتراثه الروحى إلى الإسكندرية ليزداد خصوبة بصراع الحضارات ، وهذه إشارات سريعة من سنة ٥٠٠ ق . م إلى سنة ٦٤٠ م .

٥٠٠ ق . م كان الفرس يحكمون مصر من عهد قمبيز ؛ ٥٢٥ ق . م إلى عهد دارا الثانى ؛ ٤٠٤ ق . م وكانت مصر ، بغير حول ولا قوة ، تؤدى للفرس كل عام ٧٠٠ وزنة من الفضة وكمية كبيرة من الغلال والسمك ، إلى جانب ما ينهبه الفرس من كنوز المعابد .

والإغريق الذين يعيشون بمصر بعضهم يسير فى ركاب الفرس وبعضهم يؤلب ضدها ، والغريب أن كان فى جيوش الفرس وهى تحارب اليونان فرق عسكرية من الإغريق ، ولا يستغرب هذا من الإغريق الذين سهلوا على الفرس الاستيلاء على ٢٠ ولاية من بينها مصر ، كما سهلوا عليهم غزو اليونان نفسها واختراق أراضيها ،

فإن فانيس وهو من إغريق مصر كان دليل قمبيز فى غزو مصر . . . والمصريون قد استنكروا ذلك منه فذبحوا طفليه أمام عينيه جزاء خيانته ، إذ لم يحدث فى مصر أن خانها مواطن مع الأعداء، على عكس أثينا وإسبرطة وغيرهما فقد خانهما ملوك وحكام ورعاة فى سبيل العناد أو المال أو الحكم .

٤٩٠ ق . م — عندما انتصرت أثينا على الفرس فى الماراثون اهتزت أرجاء مصر فثار شعبها على الفرس الذين أخمدوا الثورة وانتقموا من المصريين واليونانيين جميعاً وجندوا منهم أسطولاً حاربوا به فى أثينا وإسبرطة لكنهم هزموا فى سالاميس .

٤٥٤ ق . م — ولا ننسى هنا العصر الذهبى بأثينا وكيف ساعدت أموال مصر وعلومها فيه . وثار شعب مصر على الفرس مرة أخرى وأيدته أثينا بثلثمائة سفينة حربية خسرتها جميعاً .

٤٤٩ ق . م ثار شعب مصر على الفرس مرة أخرى وأيدته أثينا بستين سفينة . ثم كان هناك سلم بين الفرس وأثينا فرأينا الزيارات الإغريقية تزداد ويأتى إلى مصر هلينكوس المؤرخ وأناكساغوراس العالم الذى طردته أثينا وهيرودوت أبو التاريخ وغيرهم كثير .

٤١٥ ق . م — ثورة شعب مصر على اليهود ، عيون الفرس ورعاة مصالحهم ، واستطاعت هذه الثورة أن تنمو وتستخلص مصر من براثن الفرس وتعيد للبلاد حكماً وطنيًّا فى الأسرة (٢٨) من ٤٠٤ ق . م إلى ٣٩٩ ق . م والأسرة ٢٩ من ٣٩٩ ق . م — ٣٨٠ ق . م وهى تعاصر الازدهار الإسبرطى فتعاون إسبرطة ضد الفرس وترسل مرة أسطولاً من مائة سفينة تحمل ٨٠٠٠٠٠ مكيال من القمح وذخيرة للحروب وتساعد من جبهة أخرى فى ضرب مؤخرة الفرس .

٣٨٥ ق . م — تحالف هكر فرعون مصر مع أثينا لمساعدة إيفاجوراس ملك قبرص ضد الفرس وأرسل لذلك أسطولاً من ٥٠ سفينة ومدداً من القمح والمال والذخيرة .

٣٧٨ ق . م — قيام الأسرة الثلاثين (السمنودية) التى اعتمدت كثيراً على ربابنة أثينيين ، وزار مصر خلال حكم هذه الأسرة عدد كبير من المفكرين ،

لعل هذا الحلف المصرى الأثينى هو الذى أشار إليه أريستوفان فى مسرحية المال وهى آخر تمثيلية قدمها (راجع الجزء الثانى من كتاب مصر والشرق الأدنى للدكتور نجيب ميخائيل الأسرة ٢٨ ، ٢٩)

وأهمهم أفلاطون الفيلسوف وكريسبوس الطبيب ويودوكسويس الفلكى الذى مكث عدة أشهر يدرس على أيدى كهنة المعابد .

٣٦١ ق . م – حلف بين فراعنة هذه الأسرة وإسبرطة ثم تكوين جيش مصرى جرار قوامه ألف متطوع من إسبرطة وعشرة آلاف جندى أثينى وثمانون ألفاً من المصريين والليبيين وقوته البحرية ثلاثمائة سفينة من ذوات الصفوف الثلاثة للمجاديف تحت إمرة خبرياس الإغريقى وذلك لتدمير الفرس وإنهاء إمبراطوريتها .

فى هذه الأسرة المصرية (والأسرة الفرعونية الأخيرة عامة) كان التنافس والغدر على أشده بين أعضاء الأسرة كما كان التنافس شديداً بين الولايات اليونانية ، مع فارق واحد هو أن الإغريق كانوا يستنصرون الفرس على قومهم أما المصريون فلم يلجأوا لهذا أبدا فكان بجيوش الفرس مرتزقة إغريق بينما لم يكن بها مصريون .

٣٤١ ق . م – الأسرة الحادية والثلاثون فارسية انتقامية خربت البلاد وظلت حتى طردها الإسكندر ٣٣٣ ق . م .

من هذا نلاحظ شدة الاختلاط بين مصر والإغريق حتى تقاربت اللغتان الفرعونية والإغريقية إلى درجة كبيرة وبقيت بالإغريقية ذخيرة لفظية فرعونية إلى الآن .

المراجع

معاجم :

١ — معجم أكسفورد Greek English Lexicon (Scott. Oxford)

٢ — معجم اللغة اليونانية القديمة (ستارماتاخوس) يونانى

٣ — معجم التراجم اليونانية (برناردا كيس) يونانى

٤ — معجم الأدب اليونانى القديم (راجابيس) يونانى

تاريخ :

١ — تاريخ اليونان باليونانية (باباريجو بولوس) يونانى

٢ — هيلاس (الجزء السابع من هيليوس) يونانى

٣ — تاريخ اليونان لجروته *History of Greece* Grete إنجليزى

٤ — العرب والروم (فازيليف) ترجمة الدكتور محمد شعيره

٥ — الهيلينية فى مصر (سير هارولد إدريس بل) ترجمة الدكتور زكى على (عربى)

٦ — الإمبراطورية البيزنطية (نورمان بينز) ترجمة د . حسين مؤنس ومحمد يوسف زايد

٧ — تاريخ الطبرى

٨ — الثقافة العربية أسبق (لعباس محمود العقاد) .

٩ — تاريخ مصر القديمة والشرق الأدنى للدكتور نجيب ميخائيل

١٠ — تاريخ البطالمة للدكتور إبراهيم نصحى

دوائر معارف :

١ — دائرة المعارف اليونانية هليوس وملحقاتها إلى سنة ١٩٦١ م (يونانى ١٨ جزءاً كبيراً)

٢ — الفهرس لابن النديم (عربى جزء واحد)

The Alexandrian Period "as an Independent Era of Greek Literature"
دراسة هامة ؛ للدكتور محمد محمود السلامونى

دراسات يونانية :

من مكتبة قدماء اليونانيين شعراء وناثرين ١٢٢ جزءاً باليونانية القديمة مع شروح باليونانية الحديثة


١ — ما قيل فى الكوميديا *Prolegomend de Comœdia*

٢ — أريستوفان وعمله (١١ جزءاً)	باليونانية القديمة مع الشرح
٣ — أفلاطون وعمله	» » »
٤ — أرسطو وعمله	» » »
٥ — يوروبيد وعمله	» » »
٦ — بلوتارك	» » »
٧ — هيرودوت	» » »
٨ — هليودور	» » »
٩ — كسنوفون	» » »

دراسات عربية :

- الإسكندرية والهيلينية للدكتور محمد محمود السلاموني
- الشعر لأرسطو للدكتور عبد الرحمن بدوى
- فى المجتمع الأثينى للدكتور لطفى عبد الوهاب
- فى الأدب الهلينى للدكتور محمد السيد غلاب
- كتب المرحوم الدكتور صقر خفاجة ومقالاته فى الأدب اليونانى
- دراسات جامعة موسكو بمناسبة يوبيل أريستوفان سنة ١٩٥٤ (مترجمة إلى اليونانية)

تم طبع هذا الكتاب
على مطابع دار المعارف بمصر



أريستوفانيس

عصره وعمله المسرحي

أريستوفانيس أحد عمد المسرح إبان العصر الذهبي الأثيني في القرن الخامس قبل الميلاد .

ولا تتم نهضة مسرحية دون دراسة عميقة لأبجدية المسرح الأثيني ، كما لا يمكن فهم أي عمل مسرحي من غير الرجوع إلى البيئة وطبيعة العصر ، فالمسرح ليس في الواقع إلا مرآة للبيئة التي ينشأ فيها ، والكوميديا — بالذات — أشد ألوان الفن التصاقاً بالبيئة وأحداث العصر .

وإن كان أريستوفانيس في عرف الدارسين أباً للكوميديا ، فهو أولى من غيره بالدراسة الشاملة .

والإسكندرية التي درست أرستوفانيس زهاء ألف عام منذ بدء عصر البطالمة ، هي صاحبة الفضل الأول فيما بقي بين أيدينا اليوم من تراث لأريستوفانيس .